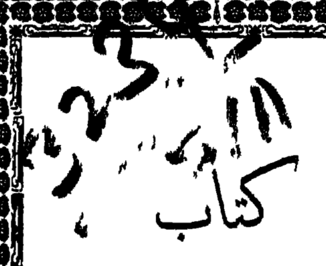


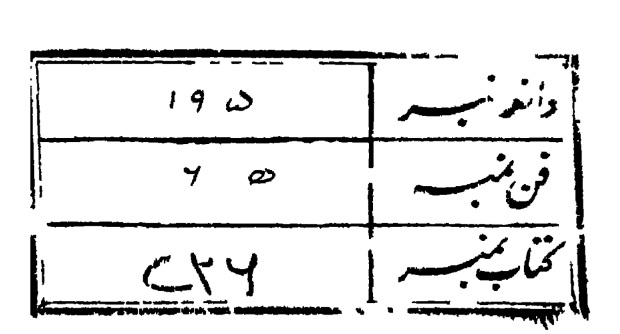
كتاب

العقد البديع في فن البديع

تاليف

الفقير الى ربهِ الجوَّاد الخوري بولس عوَّاد
عُفي عنهُ

طبع في المطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت
سنة ١٨٨١



الحمد لله البديعِ الصفات. الرفيعِ الدرجات. الذي افاض على خلقهِ من شآبيب كَرَمِهِ. وأَهاضيب نِعَمِهِ. ما مهَّدَ لهم محجَّة الادب. وادنى اليهم من محاسنهِ غاية الأرَب. فتداعَوا لجناه الجنيِّ من كل أَوْب. وأَنضَوا اليهِ الرواحلَ من كل فجٍّ وصَوْب. وانشأَ لهم من رياض المدارك العقلية. وحِياض المعارفِ النَقلية. حدائقَ مفتنَّة الأَفنان. ومناهل تنقع صدَى الظمآن. واحلَّ للعرب السحرَ في البيان. فنَفثتْ بهِ أَقلامهم في كل معنًى ومعَان. وجلَّوا بهِ في كل حَلْبة ورِهان ووعدهم طرًّا إِن احسنوا ابتداء الأَعمال. والتخلُّصَ من شُبُهات الضلال حسنَ الختِام ومنتهى الآمال

امَّا بعدُ فلمَّا رايتُ في هذه الرقعة المشرقية. تعدُّدَ المعالم العِلْمية. والخِطَطِ الادبية. ورايتُ الطَلَبة يَنسِلُون اليها من كل حَدَب. وينثالون عليها زَرافاتٍ لاهتصار افانين الادب. وهو مع ذلك لا يزال بعيد المنال. صَعْبَ المجال. ولاسيَّما فنُّ البديع فانهُ أَشَطُّ مَزارا. وامنعُ حجابًا وستارا. لقلة من عدَلَ بين كثيرهِ المِملّ. وقليلهِ المُخِلّ. مع رعاية التدقيق فيهِ. والتحقيق في مَناحيهِ. حَدَاني الحِرصُ على إِدناء قُطُوفه. وتَلافي محاقِ بدرهِ او كُسوفه. ان أُؤَلِّف شملَهُ في كتاب. يستوعب جُلَّ ما وُضع فيهِ من الابواب. مقتصدًا في شرحهِ ما يحتملهُ المَقام. بحيث لا يُملّ في أَرجائهِ المُقام. ولمَّا لم يكن الغرض

سالمٍ من التكلف والحشو مستقلٍ متناسبِ القسمين مناسبٍ للمقام كقوله

كليني لهمٍّ يا أُميمة ناصبِ وليلٍ اقاسيهِ بطيء الكواكب

وقوله هل الى ان تنام عيني سبيلُ ان عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ

وقوله قفي ودعينا قبل وشك التفرقِ فما انا من يجيى الى حين نلتقي

وقوله لك يا منازل في القلوب منازلُ اقفرتِ انتِ وهن منك اواهلُ

والمراد باستقلاله ان لا يكون متعلقًا بما بعده بحيث تتوقف فائدته عليهِ بل أن تتم بهِ الفائدة ويحسن السكوت عليهِ . وبتناسب قسميه ان لا يكون احدهما اجنبيًّا عن الاخر او فاضلاً عليهِ فضلاً كبيرًا ولذا قد عابوا على امرء القيس صدرَ معلقتهِ المشهورة وهو قوله

قفا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزلٍ بسِقطِ اللِوَى بين الدَخُول فحوملِ

فان التفاوت بين قسميهِ واضحٌ لانهُ قد ضمَّ في الشطر الاول معنى الوقوف والاستيقاف والبكاء والاستبكاء وذكرَ الحبيب والمنزل مما قد جعل لهذا الصدر شهرةً وتقدمًا على غيرهِ وتعظيما في النفوس ولم يذكر في الشطر الثاني الاَّ مكان منزل الحبيب فقط . واين هذا من قولهِ

الا عم صباحًا ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العُصُرِ الخالي

وبمناسبة المقام ان يكون موافقًا للمعنى المراد ان كان المقامُ مقامَ غزلٍ كان مطربًا مرقصًا او مقامَ رثاء كان داعيًا الى التأسي او التأسف او مقامَ حماسةٍ كان جزلاً فخما ذا وقع في القلوب الى غير ذلك ومن المناسبة المذكورة ايضًا رعاية حال المخاطب او الممدوح وتجنب ذكر ما يكرهه او يتطيَّرُ منهُ فان ذلك من العيوب المستقبحة . ومما يروَى ان شاعرًا

دخل يوماً على المعتصم وقد فرغ من بناء قصرٍ فانشده قصيدة قال في صدرها

يا دارُ غيَّركِ البلَى ومحاكِ يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ

فلما سمعهُ المعتصم تطيَّرَ من قبحهِ وامر بهدم القصر. ومن ذلك ان شاعرًا دخل على اميرٍ أحْوَلَ فانشده قصيدة قال في مطلعها

صفراء قد كادت ولَّما تفعلِ كانها في الافق عينُ الاحولِ

فلما فرغ من ذلك امر الامير بهِ ان يُخرج ويحبس. وقد عابوا مثل ذلك على ابي الطيب المتنبيّ حيث قال في مطلع قصيدة يمدح بها كافورًا

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيًا وحَسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

وقد فُهِمَ من ذلك ان الشاعر يجب عليهِ في مدح الانبياء والرسل وايمة المذاهب ان لايجنح في غزَلهِ عن مآخِذِ الاحتشام وان يبالغ في التأدب واطِّراح ذكر المجون والخلاعة وكل ما يُخِلُّ بشرعة الادب ويكدِّرُ مواردَه.

ومن البديعيين من يفرق بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال فلا يطلق براعة الاستهلال على مطلع القصيدة الَّا اذا دلَّ على الغرض منها بالاشارة لا بالتصريح قال في الخزانة وقد فرَّع المتاخرون منهُ اي من حسن الابتداء براعة الاستهلال وفيها زيادة عليه فانهم شرطوا فيها ان يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليهِ مشعرًا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق

السليم ويُستدلُّ بها على قصدهِ من عتبٍ او عذرٍ او تنصلٍ او تهنئةٍ او مدحٍ او هجوٍ فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل لهُ براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء اه ببعض حذفٍ . ومن امثلة براعة الاستهلال على ذلك قول ابي تمام تهنئةً بفتحٍ

السيف اصدق انباءً من الكتبِ   في حدهِ الحد بين الجد واللعبِ

وقول بعضهم في عتاب

اذا لم يسالمك الزمان فحاربِ   وباعد اذا لم تنتفع بالاقاربِ

وقول بعضهم متنصلاً مما وُشِيَ بهِ الى مخدومهِ في معرض التغزل

اما وهواها حلفةً وتنصُّلا   لقد نقل الواشي اليك فامحلا

وقول التهامي في رثاء ولدهِ

حكم المنية في البرية جارِ   ما هذه الدنيا بدار قرارِ

ومن الطف البراعات واغربها قول ابن نباتة في تهنئة ملكٍ بتملكهِ وتعزيتهِ بوفاة والدهِ

هناءٌ محا ذاك العزاء المقدَّما   فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع   شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

نردُّ مجاري الدمع والبشر واضح   كوابل غيثٍ في ضحى الشمس قد همى

فلا يخفى ان كل من يسمع هذه المطالع يُشعَر غرض الشاعر في سائر قصيدته بما فيها من لطف الاشارة اليهِ . ولقد اجاد الشيخ الحمويُّ في مطلعهِ المقدم بما وفَّر فيهِ من شرائط حسن الابتداء وبراعة الاستهلال ما لا يخفى على كل ذي فطرة سليمة مع التزامهِ تسمية النوع

البديعي مفرغًا في قالب التورية اما حسن الابتداء ففي غاية الوضوح واما البراعة فحاصلة من تشبيبه بعرب ذي سلم وذكر العلم مما اعتادوا ذكره في صدور المدائح النبوية .

الجناس المركَّب والمطلَق

(باللهِ سِرْبِي فَسِرْبي طَلَّقوا وَطَني   وَرَكَّبوا في ضلوعي مُطْلَقَ السَقَمِ)

الجناس في اللغة مصدر جانس الشيءُ الشيءَ اذا شاكله واتحد معهُ في الجنس وفي الاصطلاح تَشابهُ الكلمتين لفظًا لا معنًى فان اتفقت حروفها نوعًا وعددًا وهيئةً وترتيبًا فهو الجناس التام والّا فهو الناقص ولكل اقسامٌ ستأتي ان شاء الله . والمراد الان بيان الجناس المركب والمطلق اما المركب فهو من الجناس التام وهو ما كان احد ركنيه مفردًا والاخر مركبًا وتحته ثلاثة اقسام لانه ان تشابه ركناه لفظًا وخطًا كقولهُ

عضا الدهر ببابه   ليت ما حل بنابه

وقوله   اذا ملكٌ لم يكن ذاهبه   فدعه فدولته ذاهبه

قيل لهُ المتشابه . او لفظًا فقط كقوله

وان اقر على رقٍ اناملهِ   اقر بالرق كتاب الانام له

وقوله   يامن تدلُّ بمقلةٍ   وانامل من عندمِ
كفِّي جُعِلتُ لكِ الفدا   اسياف لحظك عن دمي

قيل لهُ المفروق وان كان الركن المركب مركبًا من كلمة مستقلة وبعضِ كلمةٍ اخرى كقوله

انما نحن في زمانٍ سفيهٍ   تصفع النائبات من كاس فيهِ

وقوله   ولا تلهُ عن تذكار ذنبك وابكهِ   بدمع يحاكي المزن حال مصابهِ

وَمَثِّلْ لعينيكَ الحِمَامَ ووقعه وروعةَ ملقاه ومَطْعمَ صَابِهِ

قيل لهُ المرفوٌّ .

واما المطلق فهو من الجناس الناقص وحقيقتهُ ان يتفق الركنان مادةً فقط ويختلفا اصلاً كقولهُ

فكن رجلاً رجله في الثرى وهامةُ هِمتِهِ في الثريّا

وقوله فما السلاف ازدهتني بل سوالفه ولا الشمول دهتني بل شمائله

وقولنا مادةً فقط اي في الحروف الاصلية من دون اعتبار الهيئة وقولنا اصلاً اي ان لايكون مصدر الركنين واحدًا في المعنى وهذا هو الفرق بينه وبين ما يسمونه جناس الاشتقاق مما ليس من الجناس على على الصحيح وسياتي في محلهِ . وبيت الشيخ شاملٌ لكلا النوعين اما المركب ففي قوله سر بي فسر بي وهو من المتشابه واما المطلق ففي قوله طلقوا ومطلق . وبيت الشيخ الحلي" فيها غاية في الرقه والانسجام وهو قوله في مطلع بديعيته .

ان جئت سلعًا فسل عن جيرةِ العلمِ واقر السلام على عرب بذي سلمِ

أَلْجِناس المُلَفَّقُ

(وَرُمْتُ تَلْفِيْقَ صبري كَي أَرى قَدَمي
يَسَعى مَعِي فَسَعَى لكنْ أَراقَ دمي)

الملفق من الجناس التام وهو ما كان كل من ركنيهِ مركبًا من كلمتين كقوله

خبروها بانهُ ما تصدّى لسلوٍ عنها ولو ماتَ صدّا

وسلوها في زورةٍ من خيال ان تكن لم تجد من الهجر بدًّا

وقول احد القضاة

وليتُ الحكم خمسًا وهي خُمسٌ لِعُمري والصِبا في العنفوان

فلم تضع الاعادي قدر شاني ولا قالوا فلانٌ قد رشاني

وقد حصل في بيت الشيخ بقوله ارى قدمى واراق دمى وهو ماخوذ على ما يظهر من قول ابي الفتح البستي

الى حتفي سعى قدمي ارى قدمي اراق دمي

ومنهم من لم يفرق بينه وبين الجناس المركب . قال في الخزانة ولعمري لوسموا الملفق مركبًا والمركب ملفقًا لكان اقرب الى المطابقة في التسمية لان الملفق مركب من الركنين والمركب ركنٌ واحدٌ كلمة مفردة والثاني مركبٌ من كلمتين وهذا هو التلفيق اه

الجِناسُ المذيَّلُ واللاحِقُ

(وَذَيَّلَ الهَمُّ هَمْلَ الدَّمعِ لي فَجَرَى
كَلَاحِقِ الغَيْثِ حيثُ الأَرضُ في ضَرَمِ)

المذيل واللاحق من الجناس الناقص اما المذيل فهو ما زاد احد ركنيه على الاخر حرفًا او حرفين في اخرهِ فالاول كقوله

عذيريَ من دهرٍ موارٍ مواربٍ له حسنات كلهن ذنوبُ

وقوله يمدون من ايدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول باسياف قواضٍ قواضبِ

وقوله اشكو واشكر فعلـــه فاعجب لشاكٍ منه شاكر

طرفي وطرف النجم فيـــك كلاهما ساهٍ وساهر

والثاني كقوله

ان البكاء هو الشفا * من الجوى بين الجوانح

وقوله فيالك من حزم وعزمٍ طواهما حديد الردى تحت الصفا والصفائحِ

ومنهم من يجعل هذا الاخير قسمًا برأسه ويسميهِ المرفّل

واما اللاحق فهو ما ابدل من احد ركنيه حرف اولاً او وسطًا او اخرًا

فالاول كقوله

عقلي سبي منهُ بطرفٍ طاعنِ منى الفؤادَ ولستُ عنهُ بظاعنِ

والثاني كقوله

عجب الناس لاعتزاليَ والأطـــرافُ تُلفى منازلَ الاشرافِ

وقوله واما الفقير فلا تقهر واما السائل فلا تنهر. والثالث كقوله

لا يُذكَرُ الرملُ الاحنَّ مغتربٌ لهُ الى الرمل اوطارٌ واوطانُ

وذهب كثيرٌ الى ان هذا النوع من الجناس لا يسمّى لاحقًا الاَّ اذا لم يكن

الحرف المبدل من مخرج المبدل منهُ والاَّ قيل لهُ المضارع كاوطار

واوطان وكقوله

فيهِ قد اضنى واصبى وبهِ صـــاد وصـــالا

وقوله رق النسيم لرقتي من بعدكم فكاننا في حبكم نتغاير

ووعدت بالسلوان واشٍ عابكم فكاننا في كذبنا نتغاير

وقد ضمَّن الشيخ بيته كلا النوعين اما المذيل ففي قوله همٌ وهمل - ولا

اعتبار للتضعيف فان الحرف المشدد هنا في حكم المخفف - واما اللاحق

ففي قوله غيث وحيث

الجِنَاسُ التامُّ وَالمُطرَّفُ

(يا سَعْدُ ما تَمَّ لي سَعْدٌ بطَرْفِني بِقُربِهِم وَقَلِيلُ الحَظِّ لَمْ يَلُمِ)

اما التام فاخص انواع الجناس التام بالعموم واكملها ابداعًا وحقيقته ان يكون كلٌّ من الركنين بعد تمام المشابهة مفردًا فان كانا من قبيل واحد بان كانا اسمين او فعلين قيل لهُ المماثل كقولهِ

لم نلقَ غيرك انسانًا يلاذُ بهِ فلا برحتَ لعين الدهر انسانا

وقول ابن معتوق وهو غاية في الحسن

لانتْ كلين القنا قاماتُهم وحكت أجفانُ بيضِهم أجفانَ بيضِهم

وان لم يكونا من قبيلٍ واحدٍ قيل لهُ المستوفى ومنه قوله

ما بتُّ فيك بدمع عيني أشرَقُ الاَّ وانتَ من الغزالة أشرقُ

وقوله نعم بالصَّبا قلبي صبا لاحبتي فياحبذا ذاك الشذا حين هبَّتِ

واما المطرف فهو من الجناس الناقص وحقيقته ان يكون احد الركنين زائدًا على الاخر حرفًا او حرفين في اولهِ فهو عكس المذيَّل فالاول كقوله

احذر فؤادك ان مررت بحاجرٍ فظباؤُه منها الظبى بمحاجرِ

وقوله وكم سبقت منه اليَّ عوارفٌ ثنائي على تلك العوارف وارفُ

وكم غُرَرٍ من برِّهِ ولطائفٍ فشكري على تلك اللطائف طائفُ

والثاني ومنهم من يجعله قسمًا برأسهِ ويسميهِ المتوَّج كقوله

اذا ما اكبتِ الادوارُ زندًا فلي زندٌ على الادوار وارِ

وقوله يا خليَّ البال قد بلبلت بالبلبال بال

بالنوى زلزلتني والعقل بالزلزال زال

والشيخ قد جاء في بيتهِ بالتام في قولهِ سعد وسعد وبالمطرف في قولهِ لم يلَمِ والبيت مع ذلك في غاية الرقة والانسجام. ولا يرد كسر ميم يلَمِ فان العمدة في هيئة الاركان انما هي حركات غير الاخر ولذا لم يعتبر فتح نون اجفان الثانية في بيت ابن معتوق المار فتنبه

الجِناسُ المُصحَّفُ وَالمُحرَّفُ

(هَل مَنْ يَفِي وَيقي ان صحَّفُوا عذَلي وحرَّفوا وأَتوا بالكَلْمِ في الكَلِمِ)

المصحف والمحرف كلاهما من الجناس الناقص اما المصحف ـ وبعضهم يسميهِ جناس الخط ـ فهو ما تماثل ركناه في صورة الحروف واختلفا في النَقْط كقوله

فان حلوا فليس لهم مقرٌّ وان رحلوا فليس لهم مفرٌّ

وقوله اي خطبٍ بهِ رماني زماني ودهاني بالبعد بعد التداني

وقوله اشفِ العليل ببارِدٍ من مرشفٍ واسق العليل شرابهُ بترشفِ

وانفِ التمنع عن تواصل مدنفٍ وابقِ التمنع للنواظر واعطفِ

واما المحرف فهو ما اتفق ركناه نوعًا وعددًا وترتيبًا واختلفا هيئةً كقوله

هلاَّ نهاك نهاك عن لوم امرءٍ لم يُلفَ غير منعمٍ بشقاءِ

وقوله لعيني كل يومٍ فيهِ عَبْرَه تصيرني لاهل العشق عِبْرَه

وقد اجتمع كلاهما في بيت الشيخ فالمصحف في قوله يفي ويقي والمحرف في قوله الكَلْم والكَلِم وبيت الحليِّ هنا يمتزج بالنفوس لرقته وهو

من لي بكل غريرٍ من ظبائهمِ غزير حسن يداوي الكَلْمَ بالكَلِمِ

أَلجِناسُ اللَّفظِيُّ والمَقْلُوبُ

(قد فاضَ دَمعِي وَفاظَ القَلْبُ اذ سَمِعَا
لفظيَّ عَذْلٍ مَلاَ الأَسْماعَ بالأَلَمِ)

اللفظي والمقلوب كلاهما من الجناس الناقص اما اللفظيُّ فهو ما اتفق ركناه عددًا وهيئةً وترتيبًا واختلفا نوعًا بان ابدل في احدهما حرفٌ مقاربٌ

لفظًا وخطًا لما يقابله في الآخر وبهذا يفترق عن الجناس اللاحق فانه لا يشترط فيه مقاربة الحرف المبدل للمبدل منهُ في اللفظ والخط اما الحروف المتقاربة في ذلك فكالضاد والظاء والذال والدال والزاي وقد الحقوا بها التاء المربوطة والمجرورة والنون والتنوين ومن شواهدهِ قوله

هو ناضر فيهِ تنزه ناظرٌ   زاهٍ باصناف المحاسن زاهرُ

وقوله   ظلَّ يهدِي لي هُدًى في زعمهِ   ضلَّ كم يهذي ولا أُصغي لِغَيِّ

وقولهم جُبِلَت القلوب على معاداة المعادات وقوله

اعذب خلق الله نطقًا وفمًا   ان لم يكن احق بالحسن فمن

وقوله   لسيري في الفلا والليل داجٍ   وكرّي في الوغى والنقع داجن

احبُّ اليَّ من تغريد شادٍ   وكاس مدامةٍ من كف شادن

واما المقلوب فهو ما اتفق ركناه نوعًا وعددًا وهيئةً واختلفا ترتيبًا وهو اما مقلوبُ كلٍ او مقلوب بعضٍ فالاول ما اختلف فيهِ ترتيب الحروف كلها كقوله

فسيفك منهُ للاحباب فتحٌ   ورمحك منهُ للاعداء حتفٌ

وقوله   لورقّ لي بالوصل قرّمن الجفا   بالي ومتّعَ ناظريَّ بانسهِ

والثاني ما اختلف فيهِ ترتيب بعض الحروف لا كلها كقوله

لهُ مبسمٌ كالراح قد راح طعمه   ففي القلب من ذاك الرحيق حريقُ

وقولهُ   بيض الصفائح لاسود الصحائف في   متونهن جلاء الشكّ والرِيَبِ

واذا اكتنف الركنان البيت بان وقع احدهما في اوله والآخر في آخرهِ قيل لهُ المقلوب المجنّح ومنهُ قوله

اسكرني باللفظ والمقلة الـــكحلاء والوجنة والكاسِ

ساقٍ يريني قلبه قسوةً   وكل ساقٍ قلبه قاسِ

وقوله لاح انوار الهدى من كفهِ في كل حال

وقد اودع الناظم بيته كلا النوعين فاللفظيُّ في قوله فاض وفاظ والمقلوب في قوله ملأْ وألم . وهذا البيت مما لا ارضاه لشيخنا الحموي فان فيه من تجافي الرقة وثقل فاظ وعدم النكتة في التورية ما لا يخفى على ذي الذوق السليم وهو خلاف ما دَأَبَ عليه في هذه البديعية من الانسجام والنكتة الحسنة في التورية واين هو من بيت الشيخ الحليّ الذي حلَّ بهِ السِكْرُ والسِحْرُ لكل اديب وهو قوله

بكل قدٍّ نضيرٍ لا نظيرَ لهُ لا ينقضي أمَلي منهُ ولا ألَمي

* تنبيهان *

(الاول) اذا تجاذب ركني الجناس مطلقًا نوعان منهُ ولم يخلص لاحدهما بل بقي الجناس مذبذبًا بينهما قيل لهُ الجناس المشوش كقوله

السيف اصدق انباءً من الكتبِ في حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعب

وقوله رقت شمائل قاتلي فلذاك روحي لا تقر
ردَّ الحبيب مقالهُ فكانهُ في السمع نُر

فان الاول يتجاذبه المصحف والمحرف والثاني يتجاذبه المصحف والمقلوب المجنح . ومن ابدع ذلك قول احد خطباء العرب من خطبةٍ غرَّك عِزُّك فصارَ قُصارُ ذلِك ذُلَّك فاخْشَ فاحِشَ فِعلِكَ فَعلَّكَ تُهدَى بِهذَا اه انظر ايها المتأدب الى فصاحة هذا العربي ورقة كلامهِ وعدم تكلفه حتى ان المطالع ليذهل بانسجامه عن اعتبار الجناس فيهِ

(الثاني) قد ظهر مما تقدم ان الجناس بما مرَّ من انواعه وما بقي مما سياتي ذكره او نقتصر عنهُ اما لكونهِ لا طائل تحته او لاندراجه في ما

ذكر امرئ لفظيٍّ* لايليق بالبليغ ان يتهافت عليهِ او يشد الرحال اليهِ فربما سَدَّ دونه ما قد يُفتح عليهِ من ابكار المعاني واسرار البلاغة بل ربما ذهب بطلاوة اللفظ ورقة الكلام ولذا لم يكن من مذاهب البلغاء ولا من مآخذ الايمة الادباء قال في الخزانة ولم يجنح اليهِ بكثرة استعماله الاَّ من قصرت همتهُ عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم الزاهرة في افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعاني تنزلت منزلة الاطلال البالية اه فهو لايحسن الاَّ اذا جاء في الكلام عَفْوًا ولم يكدر لانسجامه صَفْوًا قال ابن الوردي

اذا اَحببتَ نظمَ الشعر فاخترْ ... لنظمك كُلَّ سهلٍ ذي امتناعِ
ولا تقصِد مجانَسةً ومكّنْ ... قوافيهُ وَكِلْهُ الى الطِبَاعِ

واحسن ما يكون الجناس اذا حصل بالتورية بان يكون ركناه طرفيها فان التورية تُغْلي قدره وتسمو بهِ الى ذروة الابداع وبها يعذب في الاذواق والاسماع ومن ذلك قول بعضهم في الجناس المركب

واذا تبسَّمَ ضاحكًا لم التفت ... ان عاد برقًا في الدياجي اومضا

وقول الاخر فيهِ

وكم مشكلات في البيان بفهمه ... نبينها من غير عجبٍ وما زها

وقول الاخر في الجناس الملفق

ان الهوائينِ يامعشوق قد عبثا ... بالروح والجسمِ في سرِّي وفي علني
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت ... والجسمُ حُوشيتَ بالمقصورِ فيكَ فني

وقول الاخر فيهِ

تدري لماذا اتاك قلبي ... في عسكر الوجد وهو ذائب

أذنبَ ثم اخشى فوافى ... من ذلك الذنب فيك تائب

وقول الاخر في الجناس التام

دمعي عليك مجانسٌ قلبي ... فانظر الى الحالين في الصبِّ

وقول الشيخ الحموي فيهِ

عاتبتهُ ودموعي غير جاريةٍ ... لان دمعي من طول البكا نشفا

فقال لم ارَوَكَفَ الدمع قلتُ له ... حَسِيُبك الله يابدر الدُجى وكفا

وقول الاخر فيهِ

تقول وقد اتتني ذات يومٍ ... مخبرةً عن الظبي الجموحِ

يسرك ان اروح اليهِ واجري ... فقلت لها خذي مالي وروحي

واكثر التورية من قبيل الجناس التام وسياتي الكلام عليها في بابها ان شاء الله

الجِنَاسُ المَعنوِيُّ

(أَبَامَعَاذٍ أُخَا ٱلْخَنْسَاءِ كُنْتُ لَهُم ... يَامَعْنَوِيُّ فَهَدُّونِي بِجَوْرِهِمِ)

الجناس المعنويُّ ضربان جناس اضمارٍ وجناس اشارةٍ اما جناس الاضمار فمن اعزِّ انواع البديع وجودًا واغلاها . واصعبها مسلكًا واعلاها . وحقيقته ان يقصد الناظم الجناس فيضمر ركنيه وياتي في الظاهر بما يدلُّ على احدها من مرادفٍ او كنايةٍ لطيفة ومن ذلك قول ابي بكر بن عبدون وقد اصطبح بخمرةٍ ترك بعضها الى الليل فصار خلًا

الا في سبيل اللهو كاسُ مدامةٍ ... اتتنا بطعمٍ عهدُهُ غير ثابتِ

حكت بنت بسطامَ بن قيس صبيحةً ... وامست كجسم الشنفرى بعد ثابتِ

اي بعد خالهِ ثابت فانه اراد التجنيس بين صهباء وصهباء وخَلّ وخَل

فاضمرهما ودلَّ على الاول ببنت بسطام وكان اسمها الصهباء وهو من قبيل المرادف وعلى الثاني بجسم الشنفرى وذلك حيث قال

اسقنيها يا سوادَ بنَ عمروٍ ان جسمي من بعد خالي لخَلُّ

اي رقيقٌ مهزول وهو من قبيل الكناية . وقيل ان ابن عبدون لم يُسبَق الى نظم هذا النوع بل بقي بيته فذًا في بابهِ حتى شفعه الحليُّ بثانٍ في بديعيتهِ وهو قوله

وكل لحظٍ اتى باسم ابن ذي يزَنٍ في فتكهِ بالمعنَّى اوابي هَرَمِ

فان ابن ذي يزن اسمه سيف وابا هرم اسمه سنان وكلاهما من قبيل المرادف ثم اتى شيخنا الحموي فعززهما بثالث كما قال في الخزانة وهو بيته المقدم فان ابا معاذٍ اسمه جبل واخا الخنساء اسمه صخر فحصل لهُ من ذلك جناسان مضمران بين جبَل وجَبَل وصخر وصخر . وقد وقفت في ذلك على بيتين لم اعرف قائلهما وهو لم يقصر فيهما عمَّن ذكر وهما

بابي قدارٍ منك وابن زرارةٍ ادنيتَ حتف المستهام العاني
فلو انَّ كان ابا معاذٍ قلبُهُ ما كان في البلوى ابا حسَّانِ

فان ابا قدار اسمه سالف وابن زرارة اسمه حاجب وابا معاذٍ اسمه جبل وابا حسان اسمه ثابت فحصل لهُ من ذلك اربعة جناسات كما ترى .

ومما رايته من هذا القبيل قول ابراهيم بن محمد الانصاري من قصيدةٍ

ويلعب الصدغين مطرد وجنةٍ زحفت عليهِ كتائبُ ابن المنذرِ

ومن العجائب ان الشيخ الحموي لم يذكر في خزانته هذا البيت في الجناس المعنوي بل اقرَّ ما قيل من انهُ لم يسمع من ذلك قبل الحليُّ سوى بيت ابن عبدون مع انهُ ذكرهُ في باب الافتنان استطرادًا فكانهُ لم ينتبه اليهِ

والله أعلم.

واما جناس الاشارة فهو اسهل من جناس الاضمار الاَّ انهُ عزيز بالنسبة الى غيرهِ وحقيقته ان يضمر الشاعر احد ركني الجناس موافقةً للوزن وياتي في الظاهر بما يدل عليهِ من مرادفٍ او كنايةٍ لطيفة ومنهُ قوله

وبدت نظائر ثغرهِ في قرطهِ   فتشابها متخالفَينِ فأشكلا

فرايتُ تحت البدر سالفة الطَّلا   ورايتُ فوق الدُّرِّ مُسكِرَةَ الطِلاَ

وقوله   حُلِقَت لحية موسى باسمهِ   وبهرونَ اذا ما قُلِبا

وقوله   وتحتَ البراقع مقلوبهـــا   تدبُّ على ورد تلك الخدُودِ

فان جناس الاشارة ظاهرٌ في كلِ ذلك اما في الاول فلان الشاعر قصــد المجانسة بين سالفة الطَّلا وسُلافة الطِلا فلم يساعده الوزن فاضمر الركن الثاني واتى بمرادفهِ وهو مُسْكِرة. واما في الثاني فلان الشاعر اراد المجانسة بين موسى وموسى فعصــاه الوزن فاضمر الركن الثاني وكنى عنهُ بقولهِ باسمهِ. واما في الثالث فلان الشاعر اراد المجانسة بين البراقع والعقارب فتعذر عليهِ ابراز الثاني فاضمره وكنى عنهُ بمقلوب الاول. وهذا النوع لم ينظمه شيخنا الحمويُّ فكأنهُ شُغِلَ عنهُ بجناس الاضمار حيث اراد ان يجاري في حلبتهِ ابن عبدون والحليّ ولقد جاراهما ولم يقصر ولولا ان تسمية النوع قضت عليهِ بيا معنويُّ لما كان بيته دون بيتيهما في الحسن والانسجام

اَلاسْتِطْرَادُ

(وَٱسْتَطرَدُوا خَيْلَ صَبْرِي عَنهُمُ فَكَبَتْ

وَقَصَّرَتْ كَلَيَالِينَا بِوَصْلِهِمِ)

الاستطراد في اللغة مصدر استطرد لهُ اذا اظهر لهُ الهزيمة مكيدةً ليحمل عليهِ وفي الاصطلاح ان ينتقل الشاعر من المعنى الآخذ فيهِ الى معنى آخر غير مضادٍ لهُ على قصد العود الى الاول لمناسبةٍ بينهما . فخرج بغير مضادٍ الافتنان فانهُ يشترط فيهِ الانتقال من فنٍ الى ضدهِ كما سياتي بخلاف الاستطراد وهذا ما اراه من الفرق بينهما وذهب بعضهم الى ان الفرق بينهما ان الاستطراد يشترط فيهِ العود الى المعني الاول بخلاف الافتنان وهو غير صحيحٍ لان هذا فرقٌ بين الاستطراد وبين المخلص على ان الافتنان لا يشترط فيهِ الاستمرار في المعنى الثاني فتنبه . ومن شواهد الاستطراد قول لبيد في معلقتهِ يصف الطلول

وجلا السيولُ عن الطلول كانها ... زُبرٌ تجدُّ متونها أقلامها
او رجعُ واشمةٍ أُسِفَّ نؤورُها ... كففًا تعرَّضَ فوقهنَّ وشامها
فوقفتُ اسألها وكيف سؤالنا ... صُمًّا خوالدَ ما يبينُ كلامها

وقول بعضهم

لنا نفوسٌ لنيل المجد طالبةٌ ... ولو تسلّت اسلناها على الاسلِ
لا ينزل المجدُ الا في منازلنا ... كالنوم ليس لهُ مأوى سوى المُقَلِ

وقول الاخر في وصف خمرةٍ

لم يبقِ منها وفودُ الطانجين لها ... الا كما ابقتِ الانواء من داري

فانظر كيف استطرد الاول من وصف الطلول الى وصف الكتب والوشم والثاني من الافتخار الى وصف النوم والثالث من الخمرة الى وصف داره بالخراب . واكثر ما يكون الاستطراد بطريق التشبيه كما رايت ويكون كثيرًا بغيرهِ ومنهُ قولهُ

وانا لقومٌ لا نرى القتل سبةً | اذا ما راته عامرٌ وسلولُ
يقرب حبُّ الموتِ آجالنا لنا | وتكرهه آجالهم فتطولُ

وقوله
اذا ما اتقى الله الفتى واطاعه | فليس بهِ بأسٌ وان كان من جُرُمِ

فان الاول استطرد من الحماسة الى الهجو والثاني من الوعظ الى هجو قبيلة جرم . وبيت الشيخ الحموي قد استطرد فيهِ من وصف الصبر الى وصف ليالي الوصال بالنصر وهو في غاية الانسجام

الاِسْتِعَارَةُ

(وكَانَ غَرْسُ التَمَنِي يَانِعًا فَذَوَى | بالاِسْتِعَارَةِ مِنْ نِيْرَانِ هَجْرِهِمِ)

الاستعارة هي نقل الكلام الى غير ما وُضِعَ له في الاصل مبالغةً في التشبيه ولها اقسامٌ متعددة قد فصَّلها وبسطها البيانيون غير ان ابدعها واحلاها هي المرشحة ومنها قوله

وليلةٍ بتُّ أُسقى في غياهبها | راحًا تسلُّ شبابي من يدِ الهرمِ
ما زلت اشربها حتى نظرتُ الى | غزالةِ الصبح ترعى نرجسَ الظُلَمِ

وقوله
اصغي الى قول العذول بجملتي | مستفهمًا عنكم بغير ملالِ
لتلفظي زَهراتِ وردِ حديثكم | من بين شوك ملامة العذالِ

ويعجبني هنا قول ابن هانىء الاندلسي

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبرٍ | وامدكم فلقُ الصباح المسفرِ
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا | بالنصر من ورق الحديد الاخضرِ

ومن غير المرشحة قوله

مجرة جدولٍ وسماء آسٍ | وانجم نرجسٍ وشموسُ وردِ
ورعد مثالثٍ وسحاب كاسٍ | وبرق مدامةٍ وضبابُ ندِّ

وقوله
قالت وقد فتكت فينا لواحظها | مهلاً فما لقتيل الحب من قَوَدِ

وساقطت لؤلؤًا من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العناب بالبَرَدِ

ويشترط لحسن الاستعارة ان تكون مناسبةً قريبةً كما رايت والاّ نفرت عنها الاذواق وبعدت عن القلوب موقعاً كقوله

بحّ صوت المال مما منك يشكو ويصيح

وقول الاخر

وجدّت رقابَ الوصل اسيافُ هجرنا وقدّت لرجل البين نعلين من خدّي

فلا يخفى على ادنى من لهُ ذوق ما في هذه الاستعارة من القبح والاستهجان والاستعارة في بيت الشيخ الحموي ظاهرة وهي مرشحة وهو بيت بديع في هذا الباب وكفى بلطف تورية الاستعارة شاهداً على ذلك

اَلْاِسْتِخْدَامُ

(وَٱسْتَخْدَمُوا ٱلعَيْنَ مِنِّي فَهِيَ جَارِيَةٌ وَكَمْ سَمَحْتُ بِهَا أَيَّامَ عُسْرِهِمِ)

الاستخدام نوعٌ عزيز الوجود نادر الوقوع لامتناعهِ وصعوبة مسلكه وحقيقته ان ياتي الشاعر بلفظٍ مشتركٍ يريد بهِ المعنيين معًا فيقيم لكل معنىً قرينةً وذلك اما بذكر لفظين يفهم بكلٍ منهما معنى وهو مذهب ابن مالك وعليهِ قوله

حويتِ ريقًا نباتيًا حلا فغدا ينظِمُ الدرّ عقدا من ثناياكِ

فانهُ اراد بنباتيًا السكّر النباتي وابن نباتة الشاعر المشهور فدلّ على الاول بحلاوة الريق وعلى الثاني بنظم الدر. واما باعادة ضميرٍ يراد بهِ ثاني المعنيين او ضميرين يراد بكلٍ منهما معنىً وهو مذهب صاحب الايضاح وهو المشهور وعليهِ قوله

اذا نزل السماء بارض قومٍ رعيناه وان كانوا غضابا

اراد بالسماء الغيث المسبب عن السماء وبالضمير العائد اليهِ من رعيناه النبات المسبب عن الغيث فالاشتراك مجازي ومثله قوله

اذا لم ابرقع بالحيا وجه عفتي فلا اشبهته راحتي بالتكرم
ولا كنتُ ممن يكسر الجفن بالوغى اذا انا لم اغضضه عن راي محرمِ

فانهُ اراد بالحيا الحشمة وبضميرهِ المطر وبالجفن غمد السيف وبضميرهِ جفن العين والاشتراك في كل ذلك حقيقي ومن ذلك قوله ايضاً

رحلتم بالغداة فبت شوقاً اسائل عنكم في كل نادِ
اراعي النجم في سيري اليكم ويرعاه من البيدا جوادي

فانهُ اراد بالنجم الكوكب وبضميرهِ النبات وقول البحتري

فسقى الغضى والساكنيه وان همُ شبوه بين جوانحي وضلوعي

فانهُ ذكر الغضى واعاد عليهِ ضميرين الاول ضمير الساكنيه واراد بهِ مكان الغضى والثاني ضمير شبوه واراد بهِ نار الغضى وكلا الاستعمالين مجازٌ مرسل. وقد ذكر في الخزانة ان الشيخ صفي الدين الحليّ اورد على هذا البيت نقدًا حسنًا دون تحمُّلٍ ولا اشكال فان الاشتراك بالغضى ليس باصليٍ لان احد معنييه منقول عن الآخر وقد شرطوا في الاستخدام ان يكون الاشتراك اصليًّا. قلت لي في هذا النقد نظرٌ من وجهين اما اولاً فلانه ليس احد معنيي الغضى في البيت منقولاً عن الآخر بل كلاهما منقولٌ عن اصل آخر وهو شجر الغضى كما لا يخفى واما ثانيًا فلان هذا النقد واردٌ ايضًا على البيت الاول لان معنى السماء الثاني منقول عن الاول كما لا يخفى مع ان ايمة البديع كافةً قد استشهدوا بهِ

على هذا النوع فالصحيح ما ذكره شارح التلخيص من ان المراد بالمعنيين في هذا الباب اعمُّ من ان يكونا حقيقيين او مجازيين او مختلفين لان غاية القصد فيهِ تغاير المعنيين وهو حاصل بين المجازيين وبين المجازي والحقيقي كما لا يخفى فتامل. وبيت الشيخ الحموي وافٍ بشاهد الاستخدام وهو من قبيل بيت البحتري على ما يظهر غير ان الاشتراك فيهِ حقيقي فانه ذكر العين وهي مشتركة بين الجارحة وعين المال ثم اعاد عليها الضمير المرفوع واراد بهِ المعنى الاول ثم الضمير المجرور واراد بهِ الثاني واما التورية في قولهِ فهي جارية فمن اللطائف البديعة التي احرز بها شيخنا قصبات السباق

الهَزْلُ الَّذِي يُرادُ بِهِ ٱلْجِدُّ

(والبَيْنُ هازَلَنِي بالجِدِّ حِينَ رَأَى   دَمْعِي وَقَالَ تَبَرَّدْ أَنتَ بالدِّيَمِ)

الهزل الذي يراد بهِ الجد ان يقصد الشاعر الى غرضٍ من الاغراض فيفرغه في قالب هزلٍ لائقٍ بالمقام وهذا النوع لا يجيده ويحسن سلوكه الاَّ من طُبِعَت نفسه على المطايبة. ورسخت في طبعهِ ملكة المجون والملاعبة . ومنهُ قول امرء القيس وقيل هو اول من فتح هذا الباب

وقد علمت سلمى وان كان بعلها   بان الفتى يهذي وليس بفعَّالِ

وقول الآخر

اذا ما تميميٌّ اتاك مفاخرًا   فقل عدِّ عن ذا كيف اكلك للضبِّ

والفرق بينه وبين التهكم ان هذا ظاهره هزل وباطنه جدٌّ والتهكم عكسه كما سياتي ولقد تفرد شيخنا الحمويُّ بالحسن في هذا الباب مع التزامهِ تسمية النوع وموقعه في بيتهِ قوله تبرد أَنت بالديم . والذي يظهر من

معنى هذا البيت ان البين لما علم ما عنده من جمرة الوجد وبلبال الخاطر. وراى انسجام دمعهِ كالديم المواطر. والدمع من شانه ان يطفىء نار الهوى. ويبرِّد حرَّ الجوى. غبطهُ بذلك الهطل. وقال لهُ على سبيل الهزل تبرَّد انت بالديم. وكأنَّ الشيخ سقى الغمام ضريحه كان ممَّن افاض عليهم الطبع سجالَ المجون والمهازلة فان بيته المقدَّم هنا وكثيرًا غيره مما اورده في الخزانة لمَّا ينطق ببراعتهِ في ذلك وحسن تصرفه والله تعالى اعلم

أَلمُقَابَلَةُ

(قَابَلتُهُمْ بالرِّضى وَالسِّلمِ مُنشَرِحًا وَلَّوا غِضَابًا فَيَاحَرْبِي لِغَيْظِهِمِ)

المقابلة ان يذكر المتكلم شيئين متوافقين او اكثرثم ما يقابل ذلك على الترتيب ضدًّا او غير ضدٍ والاول اعزُّ قدرًا واحسن موقعًا. والفرق بينها وبين المطابقة ان المطابقة لاتكون الاَّ بين اثنين متضادين والمقابلة اقلُّ اركانها اربعةٌ ليس التضاد شرطًا فيها وان كان هو الاحسن ومن شواهدها قوله وفيهِ مقابلة اثنين باثنين

وما كلُّ وانٍ في الطلاب بمخطىءٍ ولا كلُّ ماضٍ في الامور بصائبِ

وقوله فتى كان فيهِ ما يسرُّ صديقَه على أنَّ فيهِ ما يسوءُ الاعاديا

وقول الاخر وفيهِ مقابلة ثلاثة بثلاثة

ما احسنَ الدينَ والدنيا اذا اجتمعا واقبحَ الكفرَ والافلاس بالرَّجُلِ

وقوله من ليس يخشى أُسودَ الغابِ ان زأرت فكيف يخشى كلابَ الحيِّ ان نبحت

وقول الاخر وفيهِ مقابلة اربعة باربعة

ازورهم وسوادُ الليل يشفع لي وانثني وبياضُ الصبح يُغري بي

وقول الآخر وفيهِ مقابلة خمسة بخمسة وهو غاية في هذا الباب

على راس عبدٍ تاجُ عزٍ يزينهُ　　وفي رجلِ حرٍّ قيدُ ذلٍ يشينهُ

ومنهم من قال اذا شُرِطَ في احد طرفي المقابلة شيءٌ فلا بدَّ من اشتراط ما يقابله في الطرف الآخر وعليهِ فلا يكون قوله ما احسن الدين والدنيا الخ من المقابلة والاكثر على عدم اشتراط ذلك . والشيخ الحمويُّ قد ولَّى المقابلة بيته بتمامهِ فحصل لهُ مقابلة اربعة باربعة ضدها وهو في غاية الحسن والكمال .

الاِلتِفَاتُ

(وَمَا أَرَوْنِي ٱلتِفَاتًا عِنْدَ نَفْرَتِهِمْ　　وَأَنْتَ يَاظَبْيُ أَدْرَى بِٱلْتِفَاتِهِمِ)

الالتفات هو انتقال المتكلم من احد الغيبة والخطاب والتكلم الى الآخر قال في الخزانة فسَّر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم آخذًا في معنًى فيعترضه اما شكٌّ فيهِ او ظنٌّ ان رادًّا يردُّ عليهِ او سائلاً يسأله عن سببهِ فيلتفت اليهِ بعد فراغه منهُ فإِمَّا ان يجلي الشك او يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحةٌ　　ولا وصلهُ يصفو لنا فنكارمُه

فكان الشاعر توهم ان قائلاً يقول لهُ وما تصنع بصرمهِ فقال لان في اليأس راحةً اه ومن شواهدهِ ايضًا قوله

وهل هي الاَّ مهجةٌ يطلبونها　　فان أرضتِ الاحباب فهي لهم فدَى

اذا رمتم قتلي وانتم احبتي　　فماذا الذي اخشى اذا كنتمُ عِدَى

وقوله　لولا مفارقةُ الاحبابِ ما وجدت　　لها المنايا الى ارواحنا سُبُلا

بما بجفنيكِ من سحرٍ صلي دنفًا　　يهوى الحيوة وأَمَّا ان صددتِ فلا

ولقد اجاد الشيخ الحموي في بيتهِ المقدم كل الاجادة وبرَّز بهِ على من سواه من اصحاب البديعيات وهو والحق يقال بيت آهِلٌ بسكان المحاسن وقد جاء الالتفات فيهِ على غاية العذوبة والظرافة يستلفت بلطافتهِ ذهن كل لبيب. وبرقتهِ وانسجامهِ ذوق كل اديب

الإِفْتِنَانُ

(تَغَزُّلِي وَٱفتِنَانِي فِيْ شَمَائِلِهِمْ   أَضْحَى رِثًا لِاَصْطِبَارِي بَعْدَ بُعْدِهِمِ)

الافتنان من الانواع الكبيرة التي تدل على تخرج المتكلم وحسن تصرفهِ وحقيقته ان يجمع الشاعر في كلامهِ بين فنين من فنون الشعر متضادين كالنسيب والحماسة والهناء والعزاء كقول عنترة

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ   مني وبيضُ الهند تقطر من دمي

فوددتُ تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغركِ المتبسمِ

وقولهُ   ان تغدفي دوني القناع فانني   طَبٌّ باخذ الفارسِ المستلئمِ

فانظر الى هذا الشاعر العربي كيف قد احسن تصرفه وابدع في افتنانهِ جامعًا بين النسيب والحماسة على اسهل طريق والطف انسجام. ومن ذلك ايضًا قول ابن نباتة وهو مما جمع فيهِ بين الهناء والعزاء.

هناءٌ محا ذاك العزاء المقدَّما   فما عبس المحزون حتى تبسَّما

ثغور ابتسامٍ في ثغور مدامعٍ   شبيهان لايمتاز ذو السبق منهما

وقول ابن سنا الملك وهو مما جمع فيهِ بين المفاخرة والنسيب

سوايَ يهاب الموت او يرهب الردى   وغيري يهوى ان يعيش مخلَّدا

الى ان قال متخلصًا الى النسيب بافتنانٍ غريب

ومن كل شيءٍ قد صحوتُ سوى هوىً   اقام عذولي بالملام واقعدا

اذا وصلُ من اهواه لم يكُ مسعدي   فليت عذولي كان بالصمتِ مُسعِدا

والذي يظهر لي ان بين الافتنان وحسن التخلص عمومًا وخصوصًا من وجهين فقد يفترقان وقد يجتمعان . وبيت الشيخ الحموي جامع بين النسيب والعزاء .

الاِسْتِدْرَاكُ

(قالوا نَرَى لَكَ لَحْمًا بَعْدَ فُرْقَتِنَا   فَقُلْتُ مُسْتَدْرِكًا لَكِنْ على وَضَمِ)

الاستدراك لم يعرفه في الخزانة ولم اقف له على حدٍ بديعيٍ وحقيقته المشهورة ان يعقب المتكلم كلامَهُ بما ينفي توهم خلاف المراد واداته لكن . ولا بد لنظمه في سلك انواع البديع من اشتمالهِ على نكتةٍ زائدة على معنى الاستدراك والاَّ لم يكن بديعًا نحو قام زيدٌ ولكن اباه قاعدٌ . وهو على ضربين فمنهُ ما يُبتنى على تقريرٍ للكلام السابق وهو الاشهر ومنهُ ما ليس كذلك اما الاول فكقولهِ

واخوانٍ تخذتهُمُ دروعًا   فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهُمُ سهامًا صائباتٍ   فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوبٌ   لقد صدقوا ولكن من ودادي

وقالوا قد سعينا كلَّ سعيٍ   لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقوله غالطتني اذ كست جسمي ضنًى   كسوةً اعرت عن اللحم العظاما

ثمَّ قالت انت عندي في الهوى   مثل عيني صدقت لكن سقاما

وبيت الشيخ الحموي من هذا القبيل وهو غاية في الحسن والكمال فانهُ مع نفيهِ بتسمية النوع لم يقصِّر عن بيت الحلي في الرقة والانسجام بل هو الطف نكتةً وبيت الحليِّ

رجوتُ ان يرجعوا يوماً وقد رجعوا ... عنـد العتاب ولكن عن وفا ذمي

واما الضرب الثاني فكقوله

اخو ثقةٍ لا يهلكُ الخمر مالَهُ ... ولكنه قد يهلكُ المالَ نائله

وابتناء الاستدراك فيهِ على غير تقرير الكلام السابق ظاهرٌ بخلاف ما مرَّ قبله من الشواهد

أَلطَّيُّ وَٱلنَّشْرُ

(وَٱلطَّيُّ وَٱلنَّشْرُ وَٱلتَّغْيِيرُ مَعْ قِصَرٍ ... لِلظَّهْرِ وَٱلْعَظْمِ وَٱلْأَحْوَالِ وَٱلْهِمَمِ)

الطي والنشر ـ ويسمّى اللف والنشر ايضاً ـ ان ياتي الشاعر اولاً بمتعددٍ ثمّ بما يناسب كلّاً من افرادهِ دون تعيينٍ لفظيٍّ ولا على قصد المقابلة وهو اما مجمَلٌ وهو ما كان طرفه الاول متعددًا معنىً فقط كقوله

ثلاثةٌ تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وابو اسحق والقمرُ

واما منصَّلٌ وهو ما كان طرفه الاول متعددًا لفظًا ومعنىً وهذا على قسمين مرتب وهو ما كان النشر فيهِ على ترتيب الطي كقولهِ

فـاذا رنا واذا شـدا ... واذا سقى واذا سفر

فضح الغزالـة والحما ... مة والغمامةَ والقمر

وقوله

اراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات اذا دجون نجومُ

منها معالم للهدى ومصابحٌ ... تجلوا الدجى والاخرياتُ رُجومُ

وغير مرتب وهو ما ليس النشر فيهِ على ترتيب الطي بل اما معكوسًا كقوله

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... اتت بين ثوبي نرجسٍ وشقائقِ

او مختلطًا كما اذا قلت

ليلٌ وصبحٌ وغصنٌ ... فرقٌ وشعرٌ وقدٌّ

والمفصل المرتب هو المقدَّم بين هذه الاقسام ومنه بيت الشيخ الحموي

وهو ظاهرٌ فيهِ . وأمّا بيت الحليّ هنا فمن الغايات التي لا تدرك وهو قوله

وجدي انيني حنيني فكرتي ولهي ... منهم اليهم عليهم فيهم بهمِ

وقولنا في التعريف دون تعيين اي ان التعيين في رد كلٍ من افراد الطرف الثاني الى كلٍ من افراد الاول موكولٌ الى عقل السامع اخذًا من القرائن اللفظية او المعنوية وقولنا لا على قصد المقابلة احترازٌ من نوع المقابلة فتنبه

أَلطِّبَاقُ

(بِوَحْشَةٍ بدَّلُوا أُنسِي وَقَدْ خَفَضُوا ... قَدْرِي وَزَادُوا عُلُوًّا فِي طِبَاقِهِمِ)

الطباق - ويقال له المطابقة - ان يجمع الناظم في كلامهِ بين ضدين مطلقًا اي من نوعٍ واحدٍ اسمين كقولهِ

مكرٍ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معًا ... كجلمود صخرٍ حطّهُ السيل من علِ

او فعلين كقوله

اما والذي ابكى واضحك والذي ... امات واحيى والذي امره الامرُ

او حرفين كقوله

فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي ... أكون رفاتًا لا عليّ ولا ليا

او من نوعين مختلفين كقول الخنساء

اذا قبح البكاء على قتيلٍ ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وذهب بعضهم الى وجوب كونهما من نوعٍ واحدٍ وهو خلاف الصحيح والمشهور . والمراد بالتضاد هنا ما يشمل الايجاب والسلب كقوله

يُقَيَّضُ لي من حيث لا اعلم النوى ... ويسري اليَّ الشوق من حيث اعلمُ

وقوله عيون المها بين الرصافة والجسرِ ... جلبنَ الهوى من حيث ادري ولا ادري

ويقال لهُ طباق السلب ومنهم من يسميه طباق الايجاب والسلب . واذا اكتنف الايجاب والسلب البيت كقوله

لا يرقع الناسُ ما أوهوا وان جهدوا … طول الحيوة ولا يُوهُون ما رقعوا

قيل لهُ طباق الترديد . ثم اذا كان طرفا الطباق حقيقيين كما مرَّ فهو الطباق بالخصوص او مجازيين كقوله

حلو الشمائل وهو مرٌّ باسلٌ … يحمي الذمار صبيحة الارهاقِ

قيل لهُ التكافؤ . او احدهما كنايةً عن ضدٍ كقولهِ

لا تعجبي ياسلمَ من رجلٍ … ضحك المشيب براسهِ فبكى

لان الضحك وان كان ضد البكاء الاَّ انهُ هنا عبارة عن ظهور الشيب وهو غير مضادٍ للبكاء قيل لهُ ايهام الطباق . اولازما عن ضدٍ كقوله

لم جلَّ مالي ان تتابع لي غنًى … وان قلَّ مالي لا اكلفهم رفدا

فان التتابع لا يضاد القلة ولكنه لازم عن الكثرة المضادة لها قيل لهُ الملحق بالطباق . وابدع ما يكون الطباق اذا كان محلًّى بالتورية كقولهِ

يقولون قد اودى كثيرُ بن احمدٍ … وذلك رزءٌ في الانام جليلُ

فقلت دعوني والعلى نبكهِ معًا … فمثل كثيرٍ في الانام قليلُ

وقوله خليليَّ ولَّى العمرُ منا ولم نتب … وننوي فعال الصالحين ولكنا

فحتى متى نبني بيوتًا مشيدةً … واعمارنا منا تهدُّ وما تبنا

والطباق حاصلٌ في بيت الشيخ بين الوحشة والانس وهما متحدان نوعًا وبين خفضوا والعلو وهما مختلفان

اَلنَّزَاهَةُ

(نَزَّهْتُ لَفظِي عَنْ فُحْشٍ وَقُلْتُ هُمُ … عُرْبٌ وَفِي حَيِّهِمْ يَاغُرْبَةَ الذِّمَمِ)

النزاهة نوعٌ يدل على رقة الاخلاق وسلامة الاذواق وحقيقته ان يأْتي الشاعر في معرض الهجو بالفاظٍ محتشمة عارية عن الفحش الظاهر لا ينفر منها ذوو الطباع اللطيفة كقولهِ

لو ان تغلب جمّعت انسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

وقوله فغض الطرف انك من نميرٍ فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

وقوله وللقوم احلامٌ ولكن اجلها يطير مع الريح الخفيف ويرحلُ

فتامل نزاهة هذه الالفاظ مع ما وراءها من الهجو البالغ ومثل ذلك قول شيخنا الحموي في بيته هم عرب وفي حيهم يا غربة الذم فلا يخفى ما في ذلك من النزاهة والحشمة الظاهرة والبيت رقيق منسجم

ألتخيير

(تخيَّروا لِيَ سَمَاعَ ٱلعذلِ وَٱنْتَزَعُوا
قَلْبِي وَزَادُوا نحُولي مُتُّ منْ سَقَمِي)

التخيير نوعٌ ليس وراءه امرٌ كبير وقد عرفهُ في الخزانة فقال هو ان ياتي الشاعر ببيتٍ يسوغ فيهِ ان يقفّى بقوافٍ شتى فيتخير منها قافيةً يرجحها على سائرها يستدل بتخيرها على حسن اختيارهِ كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهنٌ فكيف حالُ غريبٍ ما لهُ قوتُ

فانهُ يسوغ ان يقال ما لهُ مالٌ ما لهُ سببٌ ما لهُ احدٌ ما لهُ قوتٌ فاذا تاملت ما لهُ قوت وجدتها ابلغ من الجميع وادلّ على الفاقة وامسّ بذكر الحاجة وابين للضرورة واشجى للقلوب وادعى للاستعطاف فلذلك رجحت على ما ذكرناه اه ومن شواهده ايضًا قوله

وانّي قد جنيت عليك حربًا ... تُغِصُّ الشيخ بالماء الحميمِ

فانهُ يصح ان يقال بالماء الفرات بالماء القراح الا ان الاول اولى لان المــاء الحميم اسوغ من غيره . ومن احسن ما جاء في هذا الباب قول ديك الجن

قولي لطيفك ينثني ... عن مضجعي عند المنام

فعسى انام فتنطفي ... نارٌ تأجّجُ في العظام

جسدٌ تقلبه الاكــــفُّ على فراش من سقام

اما انا فكما علمــتِ فهل لوصلكِ من دوام

فانهُ يصح ان يقال في الاول عند الرقاد او الهجوع او الهجود او الوسن وفي الثاني في الفؤاد او الضلوع او الكبود او البدن وفي الثالث من قتاد او دموع او وقود او حزن وفي الرابع من معاد او رجوع او وجود او ثمن الا ان القوافي الأوَل اولى بالمقام . واما بيت الشيخ فانهُ يجوز ان يقال فيهِ من سأمي مراعاةً لسماع العذل ومن ألمي مراعاة لانتزاع القلب ولكن اختير فيهِ من سقمي مراعاة لزيادة النحول وهو اولى كما لا يخفى وكل ما في هذا البيت حسنٌ الا قوله مت من سقمي فاني اجد فيهِ ركاكةً ظاهرةً لم تكن متوقعةً من مثل شيخنا الحموي وشتانَ ما بينه وبين بيت الحلي فانهُ قد تحلى بفرط الرقة والانسجام وحلا في جميع الاذواق والافهام وهو قوله

عدمت صحة جسمي اذ وثقت بهم ... فما حصلت على شيء سوى الندم

ومن احسن اعتباره في هذا البيت رأى انهُ يجوز ان يقال في قافيتهِ على العدمِ او على السقم غير ان الندم احسن موقعًا منهما والله اعلم

أَلْإِبْهَامُ

(وَزَادَ إِبْهَامَ عَذْلِي عَاذِلِي وَدَجَا   لَيْلِي فَهَلْ مِنْ بَهِيمٍ يَشْتَفِي أَلَمِي)

الابهام ـ ويسميهِ المتقدمون التوجيه ومحتمل الضدين ـ طرفةٌ من طُرَف الادب وهو نوعٌ صعب المجال وحقيقته ان ياتي الناظم بكلامٍ يحتمل معنيين متضادين كالمدح والهجاء ولا ياتي بعدهُ بما يميز بينهما لقصد الابهام كقول شاعرٍ في خياط اعور اسمه زيد

خاط لي زيدٌ قبا   ليت عينيه سوا

والابهام فيهِ ظاهرٌ اذ لا يعلم أكان ذلك دعاء لهُ ام عليه وقيل هذا البيت اول كلامٍ وقع فيهِ الابهام . ومثله قول بعضهم تهنئة لاميرٍ بزواجٍ

بارك الله للحسن   ولبوران في الختن

يا امام الهدى ظفر   ت ولكن ببنت من

فلم يُعلم أَأراد بنت من في الرفعة ام في الحقارة . واما الشيخ الحمويُّ فقد اتى بالابهام في بيتهِ بقوله بهيم لاحتمال ان يكون اراد بهِ العاذل او الليل ولي في هذا البيت وقفة فان الابهام لم يقع فيهِ بين متضادين لعدم التضاد بين العاذل والليل خلافًا لما قرره ايمة هذه الصناعة من وجوب وقوع الابهام بين معنيين متضادين والشيخ نفسه لم يخرج عن ذلك في شرح الخزانة فتامل والله اعلم واما الشيخ الحليُّ فقد اتى في هذا الباب بالسحر الحلال وادرك فيهِ غاية الكمال فانهُ قال مخاطبًا العاذل

ليت المنيَّة حالت دون نصحك لي   فيستريح كلانا من اذى التهمِ

فانظر ما احسن ابهامه في تمني المنيَّة حتى لم يعلم أكان ذلك له ام للعاذل

مع ما في البيت من فرط الرقة والانسجام وقد قال الحموي في الخزانة ان هذا البيت ليس لهُ نظير في هذا الباب اه

إِرْسَالُ ٱلْمَثَلِ

(وَكَمْ تَمَثَّلْتُ إِذْ أَرْخَوْا شُعُورَهُمُ
وَقُلْتُ بِٱللّٰهِ خَلُّوا ٱلرَّقْصَ فِي ٱلظُّلَمِ)

ارسال المثل — ويقال لهُ ضرب المثل ايضاً — ان ياتي الشاعر في بيتهِ بمثل او كلام يجرى مجرى المثل بما فيه من حكمةٍ او تنبيهٍ او نحو ذلك مما يصح ان يتمثل بهِ غيره كقول المتنبيء

والهجرُ أَقتلُ لي مما اراقبــه — انا الغريق فما خوفي من البللِ

وقوله لعل عتبك محمود عواقبــه — وربما صحّتِ الاجسام بالعللِ

وقوله لان حلمك حلمٌ لا تُكلّفهُ — ليس التكحل في العينين كالكحلِ

وقول الاخر

اعلل النفس بالآمال ارقبها — ما اضيق العيش لولا فسحة الاملِ

وقول الاخر

اذا انت لم تشرب مرارًا على القذى — ظمئت وايُّ الناس تصفو مشاربهْ

وشاهده في بيت الشيخ الحموي قوله خلوا الرقص في الظلم فان الرقص في الظلم مثل سائر في فعل ما لا فائدة فيهِ .

أَلتَّهَكُّمُ

(ذَلَّ ٱلْعَذُوْلُ بِهِمْ وَجْدًا فَقُلْتُ لَهُ
تَهَكُّمًا أَنْتَ ذُوْ عِزٍّ وَذُوْ شَمَمِ)

التهكم ان ياتي المتكلم بكلامٍ محبوب في موضع الكلام المكروه احتقارًا واستهزاءً مع قرينة تدل عليهِ كقول القرآن بشر المنافقين بان لهم عذابًا اليمًا فوضع البشارة موضع الانذار تهكمًا بقرينة العذاب وكقوله

فيا لهُ من عملٍ صالحٍ   يرفعه الله الى اسفلِ

وقول احدهم في وصف احدب

قسمًا بحسن قوامك الفتانِ   يا اوحد الامراء في الحدبانِ
انت الحسام زها برونق حدبةٍ   فزها على الخطّيّةِ المرانِ
يا مخجلاً شكلَ الهلال بقدهِ   حاشاك ان تعزى الى نقصانِ
او هل يزين المتن الا ردفهُ   حسنًا فكيف بمن لهُ ردفانِ

وقد مرَّ الفرق بين التهكم والهزل الذي يراد بهِ الجد اما الفرق بينه وبين الهجاء في معرض المدح فهو ان التهكم لا بد فيهِ من ذكر شيءٍ يدل على حقيقة المراد بخلاف الهجاء المذكور. والتهكم في بيت الشيخ الحموي ظاهر من وصفهِ العاذل بالعز والشم بعد وصفهِ بالذل

اَلْمُرَاجَعَةُ

(قالَ اْصطَبِرْ قُلْتُ صَبْرِي مَا يُرَاجِعُنِي
قَالَ اْحْتَمِلْ قُلْتُ مَنْ يَقْوَى لِصَدِّهِمِ)

المراجعة وسماها الرازي السؤال والجواب ان يحكي الناظم ما جرى بين اثنين او بينه وبين غيره من خطاب وجواب بما يمكن من الايجاز والسهولة ورشاقة السبك ولطف المعنى فالاول كقوله

بينما ينعتنني ابصرنني   مثل قِيد الرمح يعدو بي الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى   قالت الوسطى لها هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها | قد عرفناه وهل يخفى القمر

والثاني كقوله

قال لي يوماً سليما | نٌ وبعض القول اشنع
قال صفني وعليّاً | أيّنا ابقى وانفع
قلت اني ان اقل | بيكما بالحق تجزع
قال كلاّ قلت مهلاً | قال قل لي قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطي | قال صفني قلت تمنع

والمراجعة ظاهرة في بيت الحموي قال في الخزانة المراجعة ليس تحتها كبير امرٍ ولو فوض اليَّ حكمٌ في البديع ما نظمتها في اسلاك انواعه اه

ألتَّوْشِيحُ

(تَوْشِيحُهُم بِمِلَا تِلْكَ ٱلشُّعُورِ إِذَا
لَـفُّوهُ طَيًّا تَعَرَّفْنَا بِشَرْهِمِ)

التوشيح - وبعضهم يسميهِ الارصاد من ارصد الرقيب اذا نصبه في الطريق - نوعٌ يعز على الكثير سلوكه وهو يدل على تخرج صاحبهِ وحسن تصرفهِ ووفرة ادبهِ وسلامة ذوقهِ وحقيقتـــه ان ياتي الشاعر قبل قافية بيتهِ بكلامٍ اذا فهمه اللبيب فهمها بلفظها ومعناها . ولا بد لذلك من علم سابقٍ بالرويّ والفرق بينه وبين التسهيم ان التسهيم لا تفهم فيهِ قافية البيت الاّ بمعناها فقط كما سياتي في محلهِ ومن شواهد التوشيح قوله

اذا لم تستطع شيئًا فدعه | وجاوزه الى ما تستطيع

فان اللبيب اذا سمع ما قبلَ القافية وعلم ان القافية مجردة مطلقة بالواو رويُّها العين . تحقق انها لا يمكن ان تكون الا تستطيع ومثله قول الاخر

فان وُزِنَ الحصى ووزنتُ قومي وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان صاحب الذوق اذا سمع صدر هذا البيت وفهم ان مراد الشاعر فيهِ المفاخرة برزانة الحصى وكان عالمًا بالروي تحقق ان القافية رزينا ومن غريب ما يحكي هنا ان عدي بن الرقاع دخل يومًا على الوليد بن عبد الملك وانشده قصيدته التي مطلعها (عرف الديار توهمًا فاعتادها) ولما انتهى الى قولهِ في وصف الظبية وخشفها (تزجي اغنَّ كان ابرة روقهِ) شُغِلَ الوليد عن الاستماع فقطع عديٌّ الانشاد وكان ذلك في حضرة جرير والفرزدق فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال اراه يذكر مثلاً فقال الفرزدق انهُ سيقول (قلمٌ اصاب من الدواة مدادَها) فلما عاد عديٌّ الى الانشاد قال كذلك فقال الفرزدق والله لمَّا سمعت صدر بيته رحمته فلما انشد عجزه انقلبت الرحمة حسدًا ومن تامل بيت الحموي بعد معرفة الرويِّ وراى قبل القافية ذكر اللف والطي والتعرف قطع بان القافية بنشرهم وبيت الحلي هنا غاية في الرقة والسهولة وهو

هم ارضعوني ثُديَّ الوصل حافلةً فكيف يحسن منها حال منفطمِ

فلا يخفى ان من علم ان القافية ميمية وسمع في صدر البيت ذكر الرضاع والثديِّ علم قطعًا ان القافية منفطمِ .

(تَشَابُهُ الأَطْرَافِ)

(شَابَهتْ أَطْرَافَ أَقْوَالِي فَإِنْ أَهِمِ أَهِمْ إِلى كُلِّ وَادٍ مِنْ صِفَاتِهِمِ)

تشابه الاطراف – وسماه الاقدمون التسبيغ – ان يكرر الناظم لفظة القافية في اول البيت الذي يليها كقولهِ

اذا نزل الحجّاجُ ارضًا مريضةً　　تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها　　همامٌ اذا هزّ القناة سقاها

وقولهِ　رنا اليّ بعينٍ للخطا نُسبَت　　بها اصاب صميم القلب حين رمى
رمى ولم يخش من قتل الكئيب ولا　　بالوصل رقّ لدمعٍ من جفاه همى

ولما كان الشيخ الحموي قد التزم ان يجعل كل بيت من بديعيتهِ شاهدًا مستقلاً على النوع المراد فيهِ وكان نوع تشابه الاطراف لايتحقق الاّ في بيتين كما يظهر من تعريفهِ صرّعَ بيتهِ هنا وجعل كل شطر بمنزلة بيت مستقل واعاد آخر الشطر الاول في اول الشطر الثاني فجاء في غاية اللطف كما ترى . والحليّ قد تاتّى لهُ ذلك في بيتين نَظَمَ في اولها نوعا آخر فانهُ قال في نوع الاكتفاء

قالوا ألم تدرِ ان الحب غايته　　سلبُ الخواطر والالباب قلت لمِ

ثم قال بعده . في تشابه الاطراف

لم أدرِ قبل هواهم والهوى حَرَمٌ　　ان الظباء تحلُّ الصيد في الحرم

ومن تامل البيت الاول رأى فيهِ من ركاكة المعنى وسخافتهِ ما لايليق بمثل الحليّ ويا ليته استعار لهُ من فخامة البيت الثاني ولطف معناه ما اهله لانتظامهِ في سلك هذه البديعية

أَلْمُغَايَرَةُ

(أُغَايِرُ ٱلنَّاسَ فِي حُبِّ ٱلرَّقِيبِ فَمُذْ　　أَرَاهُ أَبْسُطُ آمَالِيْ بِقُرْبِهِمِ)

المغايرة ان ياتي الناظم بمدح او ذم لما جرت العادة في ذمهِ او مدحه لغرض من الاغراض فالاول كقول بعضهم في مدح النوائب وقد اجمعوا على ذمها

جزى اللهُ النوائب كلَّ خيرٍ وان كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها الا لاني عرفتُ بها عدوي من صديقي

وقول الحلي في مدح العذول وقد اجمع اهل المحبة على ذمهِ

اني ليطربني العذول فانثني فيظنُّ اني عن هواكم انثني
وأعيرُ للاحي الملحِّ بذكركم أُذنًا لغير حديثكم لم تأْذنِ

وقول بعضهم

من يذمُّ الدنيا بظلمٍ فاني بطريق الانصاف أُثني عليها
وعظتنا بكل شيءٍ وأنَّا حين جدّت بالوعظ من مصطفيها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحـــبابِ لو نستفيق يومًا اليها
يومُ بوسٍ لها ويوم رخاء فتزوَّد ما شئت من يوميها

والثاني كقول الحريري في ذم الدينار

تبًا لهُ من خادعٍ مماذقٍ اصفر ذي وجهينِ كالمنافقِ
يبدو بوصفينِ لعين الرامقِ زينةِ معشوقٍ ولونِ عاشقِ
لولاه لم تقطع يمينُ سارقٍ ولا بدت مظلمةٌ من فاسقِ

والشيخ الحموي قد احسن في مغايرته فان المحبين قد اجمعوا على ذم الرقيب وهو قد مدحه لان تعرضه للمراقبة مبشر بقرب الاحبة . واما مغايرة ابن الرومي في ذم الورد بقولهِ

يامادح الورد لا ينفك من غلطهْ ألستَ تبصرهُ في كف ملتقطهْ
كأنه سرم بغلٍ حين سكرجهِ بعد البراز وباقي الروث في وسطهْ

فلا اراها من المغايرة البديعية وان استشهد بها كثير من البديعيين في هذا الباب لان المغايرة البديعية لا يُنزَعُ اليها الاَّ لنكتةٍ او معنًى لطيف حتى سماها بعضهم التلطف وابن الرومي قد اتى بها في البيتين المارين مجردةً من كل لطف ونكتةٍ بل مغايرةً للادب ونافرة في كل ذوق سليم

ولذا قد ردَّ عليهِ غير واحدٍ من الادباء وهجوهُ باقبح مما هجا الورد

اَلتَّذْيِيلُ

(وَٱللّٰهِ مَا طَالَ تَذْيِيلُ ٱللِّقَاءِ بِهِمْ   يَاعَاذِلِي وَكَفَى بِٱللّٰهِ فِي ٱلْقَسَمِ)

التذييل ان ياتي الناظم بعد تمام كلامهِ بجملةٍ هي نفسه في المعنى ولكنها تزيدهُ تحقيقًا وتوكيدًا وتُجرَى مجرَى المثل كقوله

لم يبقِ جودك لي شيئًا اؤّمله   تركتني اصحب الدنيا بلا أملِ

وقوله يهمتُ تاسع دارهم عن نيةٍ   ان المحب على البعاد يزورُ

وقوله ودعَوا نزالِ فكنتُ اول نازلِ   وعلامَ اركبه اذا لم انزلِ

وقوله نزور فتًى يعطي على الحمد ماله   ومن يعطِ اثمانَ المحامد يحمَدِ

فانظر الى اعجاز هذه الابيات كيف جاءت محققة لمعاني صدورها وهي نفسها في المعنى وقد جرت بذلك التحقيق مجرى الامثال السائرة فكان المعنى بها ابلغ لان الامثال أَسْيَرُ بين الناس واعلق بالاذهان واوقع في القلوب. والفرق بين التذييل وبين الايغال والتتميم ان التذييل هو نفس الكلام السابق في المعنى وانما يؤتَى بهِ مثلًا لزيادة التحقيق بخلافهما فان فيهما معنًى جديدًا زائدًا على معنى الكلام السابق يفوت بفواتهما وسياتي الكلام عليهما مشبعًا ان شاء الله. والتذييل في بيت الحموي قوله وكفى بالله في ألقسم فان هذا هو نفس القسم الواقع في اول البيت لكنه زاده تحقيقًا بمجيئه في صورة المثل ويعجبني هنا بيت الحلي فان ذيل التذييل فيهِ مسحوبٌ على سَنَن الرقة المتناهية والانسجام الذي تنعطف عليهِ القلوب وهو

لله لذة عيشٍ بالحبيب مضت فلم تدم لي وغير الله لم يدمِ

التفويف

(خَشِنْ أَلِنْ أَحزِنَ أَفرِحِ امنَعَ أَعطِ أَبِلْ
فَوِّفْ أَجِدْ وَشِّ رَقِّقْ شُدَّ حُبَّ لُمِ)

التفويف لغةً من البُرد المفوَّف اي المخطط بخطوط بيض على الطول واصطلاحًا ان يجعل الناظم بيته كله او بعضه جملاً منفصلة متساوية وزنًا او متقاربة وهذه الجمل اما قصيرة كقول المتنبي

أَقل أَنل اقطع احمل علِّ أَسل أَعد زدهشَّ بشَّ تفضل أَدنِ سرِّ صِلِ

وقول الاخر

فاسلم ودم وابق واعطف وارق وَاسمُ وسُدْ واسلُ وصل واعطِ وامنع واشفِ واكتنفِ

واما متوسطة كقوله

ته أَحتملْ واحكم أَصبر وعِزَّ أَهُن وذلَّ أَخضع وقُل أَسمعْ ومُرْ أُطعِ

واما متطاولة كقوله

واعظمُ احلامًا واكبرُ سيدًا وافضلُ مشفوعًا واكبرُ شافعا

وقوله فوشيٌ بلا رقمٍ ونقشٌ بلا يدٍ ودمعٌ بلا عينٍ وضحك بلا ثغرِ

وقوله صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوًا ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ

واحسنه وابلغه الاول وعليهِ جرى الشيخ الحموي في بيتهِ وقد قرن التفويف فيهِ بالطباق فزاده ذلك حسنا . وقد رايت ان التفويف نوعٌ لفظيٌّ ليس فيهِ كبير امرٍ ولاسيما القسم الاول منهُ فانهُ على احسنيتهِ وابلغيتهِ يفضي غالبًا الى العقادة والتنافر ويحول دون الرقة واللطافة ومن ثَمَّ فلا يجب ان يُجنَحَ اليهِ الاَّ حيث يُؤمن فيهِ النفور والعقادة وذلك نادرٌ

وارق بيتٍ رايته فيهِ قول الشيخ عمر بن الفارض

وهُمُ صدُّوا دنَوا ونَّوا جفوا   غدروا وفَوا هَجروا رثَوا لضنائي

اَلْمُوَارَبَةُ

(يَا عَاذِلِيْ أَنْتَ مَحْبُوبٌ لَدَيَّ فَلاَ   تُوَارِبِ ٱلعَقْلَ مِنِّي وَٱسْتَفِدْ حِكَمِي)

المواربة في اللغة من وَرِبَ العِرْقُ اذا فسد وقيل من الأَرَب اي الحاجة وفي الاصطلاح ان ياتي الشاعر في بيتهِ بلفظٍ يصح تغييره حتى اذا أُنكِرَ عليهِ غيَّره على وجهٍ يتخلص بهِ من المؤاخذة . والتغيير اعمُّ من ان يكون بتحريف او تصحيفٍ او زيادةٍ او نقصٍ . والطف ما وقع من ذلك قول ابي نواس في خالصة جارية الرشيد

لقد ضاع شعري على بابكم   كما ضاع حَلْيٌ على خالصه

فلما انكر الرشيد ذلك عليه وتهدده بسببهِ قال انما قلت

لقد ضاء شعري على بابكم   كما ضاء حليٌ على خالصه

وهكذا تخلص من مؤَاخذة الرشيد فقال بعض من حضر هذا بيتٌ قُلِعت عيناه فابصر ومن لطيف المواربة ايضًا قول بعضهم

وان يكُ منكم كان مروان وابنه   وعمروٌ ومنكم هاشمٌ وحبيبُ

فمنا حصينٌ والبطينُ وقعنبٌ   ومنا اميرُ المومنين شبيبُ

بضم راء امير فلما بلغ ذلك هشامًا انفذ اليهِ فاحضره وساله انت القائل : ومنا اميرُ المومنين شبيب : فقال انما قلت اميرَ المومنين بفتح الراء وهكذا تخلص منهُ . ومن ذلك ايضًا قول نصيب

اهيم بدعدٍ ما حييت فان امت   فوا كبدي من ذا يهيمُ بها بعدي

قيل فلما أُنكِرَ عليهِ الشطر الثاني قال لم اقل كذا وانما قلت : فوا كبدي

ممن يهيم بها بعدي: والمواربة في بيت الشيخ الحموي غاية في الحسن وهي في قوله محبوب وتوارب فان مراده فيها المواربة بمجنون وتوازن وهكذا يصير البيت بها هجوًا للعاذل بعد ان كان مدحًا

أَلْكَلَامُ ٱلْجَامِعُ

(جَمْعُ ٱلْكَلَامِ إِذَا لَمْ تُغْنِ حِكْمَتُهُ
وُجُوْدُهُ عِنْدَ أَهْلِ الذَّوْقِ كَالْعَدَمِ)

الكلام الجامع نوعٌ جليل يدل على حكمة الشاعر واستبحاره وحسن تصرفه وغزارة مادتهِ وحقيقته ان يضمّن الشاعر بيتهُ بجملتهِ حقيقةً راهنةً من حكمةٍ او موعظةٍ تُجرى مُجرَى المثل كقولهِ

ومهما يكن عند امرءٍ من خليقةٍ   وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ
وقوله   واذا ما خلا الجبان بارضٍ   طلب الحربَ وحده والنزالا
وقوله   ومن نكدِ الدنيا على الحرّان يرى   عدوًّا له ما من صداقتهِ بدٌّ
وقوله   اعدى عدوك ادنى من وثقت بهِ   فحاذر الناس واصحبهم على دَخَلِ

والفرق بينه وبين ارسال المثل ان ارسال المثل يكون في بعض البيت كما مرَّ وهذا يكون في البيت كلهِ. والحكمة ظاهرةٌ في بيت الشيخ الحموي وهو بيت عامرٌ بالمحاسن وقد قال في شرحه ان فيهِ اشارة لطيفةً الى بيت عز الدين الموصلي من بديعيتهِ لعدم غنائهِ في هذا الباب وهو قوله

كلامه جامعٌ وصف الكمال كما   يهيج الشوقُ انواعًا من الريمِ

فان هذا البيت والحق يقال ليس فيهِ من الكلام الجامع سوى جمع الكلم فوجوده عند اهل الذوق كالعدم بل العدم بهِ احق واولى وما كان

اغنى الشيخ عز الدين عنه بل ما كان اغنى اهل الادب عن بديعيته فقد وقفنا عليها فوجدنا اكثرها من سقط المتاع . ومن الامور المضحكة هنا اني سمعت يومًا بعض من يدَّعون الادب وهو براءٌ منهم يطنبون في وصف هذه البديعية ويغالون في مدحها فهممت في بادىء الامر ان ابين لهم وجه الخطأ واهديهم سواء السبيل الاَّ اني رايتهم قد جرهم الجهل وسوء الادب الى تفضيلها على بديعية شيخنا الحموي امام هذه الصناعة فاحجمت حينئذٍ عن الكلام وتذكرت قول ابي الطيب

فقر الجهول بلا عقلٍ الى ادبٍ　　فقر الحمار بلا راسٍ الى الرسنِ

أَلْمُنَاقَضَةُ

(إِنِّي أَنَا قِضُهُمْ إِنْ أَزْمَعُوا وَنَأَوْا　　وَجَرَّ نَمْلٌ ثَبِيرًا إِثْرَ عِيسِهِمِ)

المناقضة ان ياتي الناظم في بيتهِ بشرطٍ معلقٍ على امرين ممكنٍ ومستحيل فيدل بالثاني على استحالة وقوع المشروط وقد استشهد لهُ ارباب هذه الصناعة بقول النابغة

وانك سوف تحكم او تباهي　　اذا ما شبتَ اوشاب الغرابُ

فان شيبه ممكنٌ واما شيب الغراب فمستحيل وقد اراد الشاعر استحالة حكم المخاطب باستحالة متعلق الشرط الثاني. والمناقضة في بيت الشيخ الحموي حاصلة من اشتراطهِ لمناقضتهِ الاحبة وقوعَ النأي وجرَّ النملِ ثبيرًا وهو اسم جبل ولا يخفى ان الاول ممكن والثاني مستحيل وهو قد نظر الى الثاني فاستحالت مناقضته لهم وبيت الحلي هنا

واننى سوف اسلوهم اذا عُدِمَت　　روحي واُحييتُ بعد الموت والعَدَمِ

والمناقضة فيهِ ظاهرةٌ

أَلتَّصْدِيرُ

(أَلَمْ أُصَرِّحْ بِتَصْدِيرِ ٱلْمَدِيحِ لَهُمْ   أَلَمْ أُهَدِّدْ أَلَمْ أَصْبِرْ أَلَمْ أَلُمِ)

التصدير ويعرف برد العجز على الصدر نوعٌ لفظيٌّ ليس دونه شان كبيرٌ وحقيقته ان ياتي الناظم في بيتٍ بلفظين متفقين مادةً احدهما في الصدر مطلقًا - اي اولاً وهو الاحسن او وسطًا او آخرًا - والاخر في العجز وهو على اربعة اقسام الاول ان يتفق اللفظان لفظًا ومعنًى كقولهِ

سريعٌ الى ابن العمّ يلطم وجهه   وليس الى داعي الندى بسريعِ

وقوله سقى الرملَ صوبٌ مستهلٌ غمامه   وما ذاك الاّ حبَّ من حل بالرملِ

وقوله قطعت بها خوف الهوان سباسبًا   اذا قلت تمّت أُردِفت بسباسبِ

والثاني ان يتفقا لفظًا فقط كقوله

دعاني من ملامكما سفاهًا   فداعي الشوق قبلكما دعاني

وقوله لم نلقَ غيرك انسانًا يلاذُ بهِ   فلا برحت لعين الدهر انسانا

وقوله يانسمةً لاحاديث الحمى شرحت   كم من صدورٍ لارباب الهوى شرحت

الثالث ان يتفقا في اصل الاشتقاق كقوله

محا المشيب مراحي حين خطَّ على   رامي فابغض بهِ من كاتبٍ ماحي

وقوله اذا المرء لم يخزن عليه لسانهُ   فليس على شيءٍ سواه بخزّانِ

وقوله فدع الوعيد فما وعيدك ضائري   أطنينُ اجنحة الذباب يضيرُ

والرابع ان يتفقا في شبه اصل الاشتقاق كقوله

ونوميَ مفقودٌ وصبحي لك البقا   وسهديَ موجودٌ وشوقيَ نامي

وقوله لو اختصرتم من الاحسان زرتكمُ   والعذب يهجرُ للافراط في الخصرِ

وقوله واذا ما رياحُ جودكَ هبّت   صار قول العذول فيها هباء

والاول هو الاحسن والاشهر ثم ما يليهِ على الترتيب. ومنهم من زاد على هذه الاقسام ما اذا كان احد اللفظين في آخر العجز والثاني في اوله او وسطهِ كقوله

وان لم يكن الاَّ معرَّجُ ساعةٍ   قليلاً فاني نافعٌ لي قليلُها

وقوله   تصدَّى لقتلي بالصدود وانني   لفي أسرهِ مذ حاز قلبي بأسرهِ

والصحيح ان ذلك ليس من هذا الباب فان معنى التصدير من الصدر كما لا يخفى. وشاهده في بيت الشيخ الحموي من القسم الاول بتكرار لفظ أَلَم وهو غاية في الحسن غير ان الشيخ ذكر في الخزانة ان ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدرهِ لاتخفى على صاحب الذوق السليم وقد طالما تنوَّرتُ التورية في عجزهِ فلم اجد لها منارا ولا آنستُ لها نارا فان كان مراده التورية في آخر البيت بين أَلَم وأُلَم مضارع لِمت المجهول فهو غير ظاهر لوجوب اتحاد اللفظ في التورية كما سياتي في بابها ان شاء الله وان كان مراده التورية في أُهدَّد بين الهدِّ والتهديد فليس في القاموس هدَّد بمعنى هدَّ فتدبَّر. نعم التورية ظاهرة في قول الموصلي هنا

فَهِمْ بصدر جمالِ عجز عاشقهِ   عن وصله ظاهرٌ عن باحثٍ فَهِمِ

أَلْقَوْلُ بِٱلْمُوْجَبِ

(فَقَوْلِي لَهُ مُوْجَبٌ إِذْ قَالَ أَشْفَقَهُمْ   تَسَلَّ قُلْتُ بِنَارِي يَوْمَ فَقْدِهِمِ)

القول بالموجب ان يقع في كلام الغير لفظٌ مشترك بحقيقتهِ او بمتعلقهِ فيُحمَل على ما يحتمله من خلاف مرادهِ بذكر متعلقهِ فالاول اي ما كان اللفظ فيهِ مشتركًا بحقيقتهِ كقوله

ولما اتاني العاذلون عدمتهم وما فيهم الّا للحيَ قارضُ
وقد بهتُوا لما رأُوني شاحبًا وقالوا بهِ عينٌ فقلت وعارضُ

والثاني كقول سيدي العالم المفضال المطران جرمانوس فرحات وهو غاية في الحسن

قال الحبيبُ رغبتَ قلتُ عن السوي وعشقتَ قلتُ جمالَ وجهك في الورى
وسلوتَ قلتُ رغيدَ عيشي والهنا وهجرتَ قلتُ لذيذَ غُمضي والكرَى

والفرق بينه وبين الاستدراك ان الاستدراك يكون بلكن كما مرَّ وهذا بلا اداةٍ كما رايت والذي ذكرناه من حقيقة القول بالموجب هو المشهور وعليهِ جرى متاخرو البديعيين وشاهده في بيت الشيخ الحموي لفظ تَسَلٌّ فان المتكلم اراد بهِ السلو فحمله المخاطب على معنى التسلي بالنار بان ذكر متعلقهُ وهو بناري. وقد جعل حذاق البديعيين لهذا النوع ضربًا آخر وهو ان يذكر المتكلم صفةً عامةً يكني بها عن امرٍ اثبت لهُ حكمًا فيثبتها المخاطب لغيرهِ من غير تعرضٍ لثبوت ذلك الحكم او انتفائهِ ومثلوا لهُ بقول القرآن: لئن رجعنا الى المدينة ليُخرِجَنَّ الاعزُّ منها الاذلَّ ولله العزةُ ولرسولهِ وللمؤمنين: فالمتكلمون وهم الكفرة هنا كنوا بالاعز عن فريقهم واثبتوا لهُ حكم الاخراج فَرد عليهم باثبات صفة العزة لله ومن يليهِ من غير تعرضٍ لثبوت الاخراج للكفرة او نفيهِ. والذي ارى ان هذا الضرب من اعز انواع البلاغة واعلاها قدرا ولو فُوِّضَ اليَّ حكمٌ في هذا الفن لالحقت الضرب الاول بالاستدراك وافردت هذا الباب للضرب الثاني والله تعالى اعلم

اَلْهَجْوُ فِيْ مَعْرَضِ الْمَدْحِ

(وَكَمْ بِمَعْرَضِ مَدْحٍ قَدْ هَجَوْتَهُمُ
وَقُلْتُ سُدْتُمْ بِحَمْلِ الضَّيْمِ وَالتُّهَمِ)

الهجو في معرض المدح ان ياتي الناظم في كلامهِ بالفاظٍ موجهة ظاهرها مدح وباطنها قدح والمقصود الثاني واحسن شاهدٍ على ذلك قول الحماسي يهجو قومه

لكنَّ قومي وان كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرةً ومن اساءة اهل السُّوء احسانا
كأنَّ ربك لم يخلق لخشيتهِ سواهُمُ من جميع الناس انسانا

فان هذا الكلام ظاهرهُ المدح بالعفة والحلم والخشية مع ان المقصود انهم في غاية الذل وعدم المنعة وهو كلام عامرٌ بمحاسن هذا الباب وبنورهِ استضاء الحليُّ والحمويُّ بل من فضله اغترفا اما الحمويُّ فقد مر بيته ومحل الشاهد فيهِ قوله سدتم بحمل الضيم والتهم واما الحليُّ فقد قال

من معشرٍ يُرخِص الاعراضَ جوهرُهم ويحملون الاذى من كل منهمِ

فان معنى الشطر الثاني هو نفس معنى البيت الثاني من ابيات الحماسي كما لا يخفى. والفرق بين هذا النوع وبين التهكم ان الكلام في التهكم لا بد من اشتمالهِ على قرينةٍ لفظية تدل على ارادة غير الظاهر بخلافه هنا فانهُ لا يزال جاريًا على ظاهرهِ حتى يُقرَن بكلامٍ آخر يدل على المقصود منهُ كقول الحماسي بعد الابيات المارة

فليت لي بهمِ قومًا اذا ركبوا شنُّوا الاغارةَ فرسانًا وركبانا

فان هذا البيت قد كشف النقاب عن معني الابيات التي قبله ودلَّ على ان المقصود فيها الذم والهجو وهذا الفرق هو الذي ذكره البديعيون وقد مرت الاشارة اليهِ في باب التهكم وهو فرقٌ ضعيف لاأراه وافيًا بالمراد للزوم القرينة في كلٍ منهما . والذي يظهر لي ان الفرق بينهما ان الكلام في التهكم لا يكون موجهًا بل خالصًا في الظاهر للمعنى المستحسن وانما ذكر في غير موضعهِ استهزاء واما هنا فلا بد من كونهِ موجهًا بالاعتبار يحتمل المدح والهجو والمقصود بهِ الهجو وانما جيء بهِ على هذه الصورة ايهامًا لا استهزاء فتامل والله اعلم

أَلِاسْتِثْنَاء

(عِفْتُ ٱلْقُدُوْدَ فَلَمْ أَسْتَثْنِ بَعْدَهُمُ ... إِلَّا مَعَاطِفَ أَغْصَانٍ بِذِيْ سَلَمِ)

الاستثناء اخراج القليل من الكثير مع زيادة تكسو الاستثناء بهجةً وطلاوةً كالمبالغة في المدح في قولهِ

فلو كنتُ بالعنقاء او باطوبها ... لخلتُكَ الا أن تصد تراني

فان معناه اني لو كنت في حيز العدم لخلتك قادرًا ان تراني اذا شئت ذلك فانهُ ليس لك مانعٌ خارجيٌّ يمنعك اياه ولايخفى ما في ذلك من المبالغة في المدح ومثله قوله

يسعى بهِ البرق الا أنهُ فرسٌ ... في صورة الموت الَّا انهُ رجلُ

وقوله

كالشمس الا أنه لا يختفي ... والبدرِ الا أنّه لا يُمحَقُ

والغيثِ الا أنه لا ينتهي ... والليثِ الا أنه لا يَفْرَقُ

ولايخفى على كل صاحب ذوقٍ ما في ذلك من زيادة المبالغة والحسن

على قولهِ كشمسٍ لاتخنفي وبدرٍ لا يُمحَقُ وشاهده في بيت شيخنا الحموي ظاهرٌ وهذا البيت مما يسيل رقةً وانسجامًا وتنثني لهُ معاطف الادباء طربا وترشفه الاذواق مداما و بيت لا نظير لهُ في هذا الباب وليس بعد التورية فيهِ لطافة وابداعٌ عند ذوي الالباب . واما الزيادة في استثنائه فحاصلة عن ذكر عيافة القدود وتاكيد ذلك بعدم استثناء قدٍ من حكم العيافة ثم اخراج تلك المعاطف من ذلك الحكم حتى كانها لزيادة فضلها ليست من جنس تلك القدود المذكورة

أَلتَّشْرِيعُ

(طَابَ ٱللِّقَا لَذَّ تَشْرِيعُ ٱلشُّعُورِ لَنَا   عَلَى ٱلنَّقَا فَنَعِمنَا فِيْ ظِلَالِهِمِ)

التشريع - ويسمّى ذا القافيتين ايضًا - نوعٌ لفظيٌّ خاصٌّ بالنظم اذا قصده الشاعر فقلما يسلم من التكلف والتعسف ولا ياتي على غير قصدٍ الاَّ نادرًا وهو في اللغة من شرَّعَ الطريق اذا بيَّنه وفي الاصطلاح ان يبني الشاعرُ بيته على قافيتين بحيث اذا اسقط بعضه كان الباقي شعرًا مفيدًا كقوله

واذا الرياح مع العشيِّ تناوحت   هُوَجَ الرمال بكثبهن شمالا
الفيتنا نقري الغبيط لضيفنا   قبل القتال ونقتل الابطالا

وهما بيتان من وزن الكامل فلو اريد الوقوف على الرمال في الاول والقتال في الثاني لكانا بيتين من مجزوء الكامل مستقيمين وزنًا ومعنىً ومثل ذلك قول الحريري

ياخاطبَ الدنيا الدنيَّة انها   شَرَك الرَّدى وقرارةُ الاكدارِ
دارٌ متى ما اضحكت في يومها   ابكت غدًا بعدًا لها من دارِ

فانك لو وقفت على الردَى وغدا لكان ذلك شعرًا من مجزوء الكامل ايضًا ومن ذلك ايضًا قوله

ذهب الزمانُ ولم يفز بوصالهِ   مستعطفٌ والعطفُ عنه غريبُ
انا في الهوى يعقوب وهو بحسنهِ   هو يوسفٌ لو سرّ منه عقيبُ

واما بيت شيخنا الحموي فغاية في الحسن وفيهِ زيادة على غيرهِ فانه وفى لشارح التلخيص بمنيتهِ في الشعر العربي حيث قال ومن لطيف ذي القافيتين نوعٌ يوجد في الشعر الفارسي وهو ان تكون الالفاظ الباقية بعد القوافي الأُوَل بحيث اذا جمعت كانت شعرًا مستقيم المعنى اه فان هذا البيت اذا فُصِل يخرج منه بيتان مستقيمان وزنًا ومعنًى احدهما من منهوك الرجز وهو: طاب اللقا : على النقا : والثاني من المديد ذي العروض المحذوفة المخبونة وهو : لذ تشريع الشعور لنا : فنعمنا في ظلالهم : وقد حاول الموصليُّ ذلك قبله فاطاعه الوزن وعصاه المعنى فانهُ قال

وفي الهوى فصلٌ تشريعُ العذول لنا   وكم هوى في مقالٍ دلّ من حكمِ

أَلتَّتْمِيمُ

(بِكُلِّ بَدرٍ بِلَيْلِ ٱلشَّعَرِ يَحسُدُهُ   بَدْرُ ٱلسَّمَاءِ عَلَى ٱلتَّتْمِيمِ فِي ٱلظُّلَمِ)

التتميم ان ياتي الشاعر في كلامهِ بكلمةٍ او جملة تزيده معنًى وحسنا بحيث اذا طرحت نقص معناه وحسنه وفائدته المبالغة ومنه قوله

من يلقَ يومًا على علاتهِ هرمًا   يلقَ السماحة منه والندى خُلُقًا

فان قوله على علاته تتميم افاد المبالغة وهي ظاهرة . وربما افاد الاحتراس والاحتياط كقوله

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدِها صوبُ الغمام . وديمةٌ تهمي

وقوله اناسٌ اذا لم يُقبَل الحقُّ منهمُ ويُعطَوهُ غاروا بالسيوف القواضبِ

فان قوله غير مفسدها ويعطوه تتميم قصد فيهِ الاحتراس والاحتياط اما في الاول فمن توهم ارادة خراب الديار الذي قد يؤثّره المطر واما في الثاني فمن توهم الذلة فيهم فان شأن الاذلاء ان ياخذ غيرهم حقَّه منهم وينكر عليهم حقهم . وما ذكرنا من افادة التتميم الاحتراس قد ذكره الحموي في الخزانة وغيره من قبله وفيهِ نظرٌ فان البديعيين قد جعلوا الاحتراس نوعًا براسهِ وفرقوا بينه وبين التتميم كما سياتي في باب الاحتراس على انهُ لو اريد ضمه مع نوعٍ آخر لكان التكميل احق بهِ من التتميم لان التكميل يرد على تمامٍ وهو شان الاحتراس كما لا يخفى والتتميم يرد على نقصٍ كما رايت وهذا هو الفرق بينهما ومن ثم فقد جعل اهل المعاني الاحتراس من قبيل التكميل ومثلوا لهُ بقوله فسقى ديارَكِ البيت فتامل .

ومن التتميم ما ياتي لاقامة الوزن الا انهُ لا يعتبر بديعًا الّا اذا افاد فوق ذلك ضربًا من المحاسن يؤهله عند الادباء للانتظام في سلك الانواع البديعية واحسن ما ورد من ذلك قول ابي الطيّب

وخفوق قلبٍ لو رايتِ لهيبهُ يا جنّتي لظننتِ فيهِ جهنّمَا

فان قوله ياجنتي انما جيء بهِ لاقامة الوزن الّا انهُ لا يخفى على من رآه مكتنفا بذكر اللهيب وجهنم ما فيهِ من المحاسن البديعية . وللتتميم في بيت الحموي ثلاثة شواهد الاول قوله بليل الشعر والثاني قوله على التتميم والثالث قوله في الظُلَمِ ولولا ذكر ليل الشعر في صدر البيت لكان

هذا الاخير ايغالاً خالصاً وهو بيت بديعٌ بانوار المحاسن وافٍ باقصى المراد بجسن بدر السماء على تمامهِ في ليل المداد

تَجاهُلُ ٱلعَارِفِ

(وَأَفتَرَّ عُجْبًا تَجَاهَلْنَا بِمَعْرِفَةٍ   قُلْنَا أَبَرْقٌ بَدَا أَمْ ثَغرُ مبتَسِمِ)

تجاهل العارف آيةٌ من آيات البلاغة وحقيقته ان ينزل المتكلمُ المعلومَ منزلة المجهول فيسأَل عنه سؤَالَهُ عن المجهول مبالغةً في ما هو آخذٌ فيهِ من المدحِ او ذمٍ او تعظيمٍ او تدلهٍ في الحب او نحو ذلك واحسنه ما كان مبنيًا على التشبيه لان المبالغة المقصودة في هذا النوع هي في التشبيه اظهر منها في سواه ومن شواهدهِ قول ابن هانىء الاندلسي

فتكاتُ طرفكِ ام سيوفُ ابيكِ   وكوءوسُ خمرٍ ام مراشفُ فيكِ

آجلادُ مرهفةٍ وفتكُ محاجرٍ   ما انتِ راحمةٌ ولا اهلوكِ

وقوله ايضاً من قصيدة غرَّاء يمدح الملك يحيى بن علي

ابني العوالي السمهريّةِ والمو   ضي المشرفيّةِ والعديدِ الاكبرِ

من منكم الملك المطاعُ كانه   تحت السوابغ تُبَّعٌ في حِميَرِ

قيل انهُ انشدهُ هذه القصيدة في حضرة جيشه فلما انتهى الى قولهِ من منكم الملك المطاعُ الخ ترجَّل الجيش كله تعظيمًا للممدوح ومن ظريف ذلك قول الآخر

باللّٰه ياظبياتِ القاعِ قلنَ لنا   ليلايَ منكنَّ ام ليلى من البشرِ

وقول الاخر

سلا ظبيةَ الوادي وما الظبيُ مثلها   وان كان مصقولَ الترائبِ أكحلا

أأنتِ امرتِ الصبحَ ان يصدع الدجى   وعلّمتِ غصنَ البانِ ان يتميَّلا

وقد تجاهل شيخنا الحموي بقولهِ ابرقٌ بدا ام ثغرُ مبتسم وهو تجاهل مبنيٌّ على التشبيه والمبالغة فيهِ ظاهرةٌ فان المراد بذلك ان البدر المجازي المذكور في البيت قبله لمَّا تبسمَّ ثغرهُ ادهش بلطف تبسُّمِهِ ونور وجههِ عقلَ متيمهِ حتى ظنه برقًا أومضَ في آفاق السماء فسألَ عنهُ بذلك وهو يعرفه ·

الاكتفاء

(لَمَّا ٱكْتَفَى خَدُّهُ ٱلْقَانِي بِجُمْرَتِهِ   قَالَ ٱلعَوَاذِلُ بُغْضًا إِنَّهُ لَدَمِيْ)

الاكتفاء ان يحذف الشاعر من بيتهِ لضيق المقام شيئًا يستغني عن ذكرهِ بدلالة العقل واكثر ما يكون الحذفُ في آخر البيت والمحذوفُ كلمةٌ وقد يكون الحذف في الحشو والمحذوفُ بعض كلمةٍ وجملةً فمما حُذِفَ منهُ كلمة في اخر البيت قوله

فان المنيَّة من يخشَها   فسوف تصادمُهُ اينما

وقوله   ما للنوى ذنبٌ ومن اهوى معي   ان غاب عن انسان عيني فهو في

اي اينما توجه وفي قلبي . ومما حُذِفَ منهُ بعض كلمةٍ وهو اعزُّ من الاول قولهُ

ولقد كففتُ عِنان عيني جاهدًا   حتى اذا أُعييتُ اطلقتُ العِنا

اي العنان . ومما حذف فيهِ جملةٌ قوله

ولا تستقبحي شيبًا برأسي   فما ان شبتُ من كِبَرٍ ولكن

وقوله   يالائمي في هواها   افرطتَ في اللوم جهلا
ما يعلمُ الشوقَ الاَّ   ولا الصبابةَ إلاَّ

وفيها التضمين زيادة على الاكتفاء اما الاول فمن قوله

فما ان شبتُ من كبرٍ ولكن   رايتُ من الاحبةِ ما اشابا

واما الثاني فمن قوله

ما يعلم الشوقَ الاَّ من يكابدهُ ولا الصبابةَ الاَّ من يعانيها

وممَّا حُذِف منهُ في الحشو قولهُ

وليلةٍ زارني فقيهٌ في رشدهِ ليس بالفقيهِ
رأى بيمناي كاس خمرٍ فظلَّ ينأى ويتقيهِ
فقلتُ هلاَّ فقال كلاَّ فقلتُ لِمْ لا فقال إيهِ
ما ذاك فنِّي فقلت اني انزهُ الكاس عن سفيهِ

اي فقلت هلاَّ تشرب ولم لا تشرب . واحسن ما يكون الاكتفاء اذا كان محلى بالتورية ومن ذلك قوله

ضلُّوا عن الماء لما ان سروا سحرًا قومي فظلُّوا حيارى يلهثون ظما
والله اكرمني بالماء بعدهمُ فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

وقوله الدمع قاض بافتضاحي في هوى ظبيٍ يغار الغصنُ منهُ اذا مشى
وغدا بوجدي شاهدًا ووشى بما أُخفي فيا لله من قاض وشا

وقد ابى شيخنا الحموي ان ياتي بالاكتفاء الاَّ محلَّى بالتورية فجاء بذلك من وجهٍ دقيقٍ على غاية الحسن والكمال فان اكتفاءهُ في دمي ليس لهُ نظير في هذا الباب. قال في الخزانة وهذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

كضرائر الحسناء قلنَ لِوجهها حسدًا وبغضًا انهُ لدميمُ

مُرَاعَاةُ ٱلنَّظِيرِ

(ذَكَرْتُ نَظْمَ ٱللَّآلِي وَٱلْحَبَابِ لَهُ رَاعَى ٱلنَّظِيرَ بِثَغْرٍ مِنْهُ مُنْتَظِمِ)

مراعاة النظير — وسماها بعضهم التناسب والائتلاف — ان يجمع الناظم بين امرٍ وما يلائمه مطلقًا على غير تضاد كقول عنترة

حصاني كان دلاَّل المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا

وسيفي كان في الهيجا طبيبًا يداوي راس من يشكو الصداعا

وقول الآخر

كأنَّ السرى ساقٍ كان الكرى طِلاً كانا له شَرْبٌ كأنَّ المنى نقلُ
كانَّا جياعٌ والمطيُّ لنا فمٌ كان الفلا زاد كان السرى أكْلُ

فانظر كيف ناسب الاول بين الدلاَّل والشراء والبيع في البيت الاول وبين الطبيب والمداواة والصداع في البيت الثاني والثاني بين الساقي والطلا والشرب والنقل في البيت الاول وبين الجوع والفم والزاد والاكل في البيت الثاني . وقولنا على غير تضاد مخرجٌ للطباق لابتناء المناسبة فيهِ على التضاد كما مرَّ وقولنا مطلقًا اي سواءٌ كانت تلك الملاءمة معنوية كما مرَّ وهو الاصل ام لفظيةً كقولهِ

فراعيتُ النظير وقلت بدري عذارك اخضرٌ والنفس خضرا

وقوله وحرفٍ كنونٍ تحت راءٍ ولم يكن بدالٍ يؤُمُّ الرسم غيره النَقْطُ

وهذا يقال لهُ ايهام التناسب . واما بيت شيخنا الحموي فمراعاة النظير فيهِ من النوع الاول وهي حاصلة من جمعهِ بين اللئالئ ونظم الحباب ونظم الثغر

اَلتَّمْثِيلُ

(وَقُلْتُ رِدْفُكَ مَوْجٌ كَيْ أُمَثِّلَهُ
بِالْمَوْجِ قَالَ قَدِ اَسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمٍ)

التمثيل ان يقصد المتكلم معنًى فلا يدل عليهِ بلفظه الموضوع لهُ ولا بمرادفهِ بل بما يصلح ان يكون مثالاً للفظهِ كقولهِ

اخرجتموه بكرهٍ عن سجيّتهِ والنار قد تلتظي من ناضر السَلَمِ

اوطأتموه على جمر العقوق ولو   لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

فان هذا الشاعر اراد ان يقول في البيت الاول ان اخراجكم اياه وانتم احبة لهُ غريبٌ نادرُ الوقوع فعبر عن ذلك بقوله: والنار قد تلتظي من ناضر السلم :وفي الثاني اراد ان يقول ان وطئه على جمر العقوق لم يكن الاَّ بما ضيقتم عليهِ واضطررتموه اليهِ فعبَّر عن ذلك بقولهِ: ولو لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم: والفرق بينه وبين ارسال المثل ان هذا يقع موقع جزء من المعنى المراد وارسال المثل يقع بعد تمام المعنى مثلاً عليهِ والتمثيل ظاهرٌ في بيت الحموي وهو قوله قد استسمنت ذا ورم غيران قوله كي امثله بالموج حشو ذهب بطلاوة هذا البيت وابن هو من رقة بيت الحلي هنا وانسجامه وهو

يا غائبين لقد اضنى الهوى جسدي   والغصن يذوي لفقد الوابل الرذم

فانهُ اراد ان يبين علة اضناء الهوى لجسدهِ فاتى موضع ذلك بمثلٍ يفيده وهو ليس باللفظ الموضوع لهُ ولا بمرادفهِ والله تعالى اعلم

اَلتَّوْجِيهُ

(وَأَسوَدُ ٱلْخَالِ فِيْ نَعْمَانِ وَجْنَتِهِ   لِيْ مُنْذِرٌ مِنْهُ بِٱلتَّوْجِيْهِ لِلْعَدَمِ)

التوجيه في اللغة مصدر وجَّهه الى ناحية اذا ارسله اليها وجعله ان يستقبلها بوجههِ وفي الاصطلاح ان يقصد الشاعر معنى فيدل عليهِ بالفاظ موضوعةٍ لهُ لكنها متناسبة في اصطلاحٍ من اسماء اعلام او قواعد علمٍ او فنٍ. والفرق بينه وبين التورية ان التورية لاتكون الاَّ بلفظٍ واحدٍ مشتركٍ حقيقةً والتوجيه لايكون الاَّ بالفاظٍ متلائمةٍ داخلةٍ

في اصطلاحٍ دون اشتراكٍ في الاصل ومن شواهدهِ قول بعضهم

لاتهجروا من قد تعوّد فضلكم   وهو الذي بلبان وصلكمُ غُذِي
ورفعتمُ مقداره بالابتـــدا   حاشاكمُ ان تقطعوا صلة الذي

ويُروَى ان هذا الشاعر كان لهُ عادةً ان يقصد باب امير فيمدحه باشعاره فيصله بعطائهِ فمرض يومًا واحتاج الى المال فارسل هذين البيتين الى الامير فلما وقف عليها استحسنها وحمل اليهِ مالاً بنفسهِ فلما رآه قال لهُ انت الذي وهذه الصلة وانا العائد . وهذا غاية في الحسن . ومثله قول الآخر

من أمَّ بابكَ لم تبرح جوارحُهُ   تروي احاديث ما اوليتَ من مِنَنِ
فالعين عن قرةٍ والكفُّ عن صلةٍ   والقلب عن جابرٍ والاذن عن حَسَنِ

فان قصد هذا الشاعر ان يقول من امَّ بابك اقررتَ عينه ووصلتَ كفه وجبرت قلبه الكسير واسمعته الكلام الحسن فعبر عن ذلك بما ترى من التوجيه البديع فان قرة وصلة وجابرًا وحَسَنًا اسماء اعلامٍ لبعضٍ من رواة الحديث واما ترشيحه لهذا التوجيه بقوله في البيت الاول تروي احاديث فمَّما لاضريب لهُ في الحسن ومن لطيف هذا النوع قول آخر

ياساكنًا قلبيَ المعنّى   وليس فيهِ سواك ثاني
لايّ معنًى كسرت قلبي   وما التقى فيهِ ساكنانِ

واما الشيخ الحموي فقد اتى بالتوجيه في بيته المقدم من اسماء الاعلام وهي النعمان والمنذر وهو اسم ابيهِ والاسود وهو اسم اخيه ولايخفى ما فيها من المناسبة والمطابقة للمعنى الاصلي الذي هو المقصود هنا .

عِتَابُ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ

(يَانَفْسِ ذُوقِي عِتَابِي قَدْ دَنَا أَجَلِي مِنِّي وَلَمْ نَقْطَعِي آمَالَ وَصْلِهِمِ)

عتاب المرء نفسه نوعٌ ليس فيهِ من طرق الابداع ما يستحق بهِ ان ينتظم في سلك هذه الانواع ولذا لم يحفل بهِ ايمة هذه الصناعة ولم يذكروا لهُ حدًا ولا تكلفوا لهُ كثرة الشواهد كغيرهِ بل قالوا انهُ صفة لحالٍ واقعة ليس تحتها كبير امرٍ وحقيقته ان ياتي الناظم بكلامٍ متضمنٍ لوماً على نفسهِ في امرٍ كانه اخطأ فيهِ ومنهُ قوله

افول لنفسي في الخلاء الومها لكِ الويلُ ما هذا التجلّدُ والصبرُ

وهو ظاهرٌ في بيت الحموي فكانه يقول لنفسه لقد اضنيتني بما تكلفتِ من اسباب الهوى ومذاهب الغرام واتلفتِني بما أَلِفتِ من حرّ نار الجوى حتى لقد اشفيتُ على الحِمام فالامَ تطمعين من احبتك بالوصال ولم يُبقَ لِي فرط السقام من فسحة العمر ما يكفي لقضاء تلك الآمال .

ٱلْقَسَمُ

(بَرِئْتُ مِنْ أَدَبِي وَٱلْعِزِّ مِنْ شِيَمِي إِنْ لَمْ أَبِرَّ بِنَأْيٍ عَنْهُمُ قَسَمِي)

قال في الخزانة القسم ان يقصد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون لهُ مدحًا وما يكسبه فخرًا وما يكون هجاء لغيرهِ اه وهو على هذا نوع سافلٌ لا يستحق ان يذكر بين انواع البديع والذي ارى انه لا يرفع مقامه ويكسوه طلاوة الابداع الّا ان يكون الحلف على امر بما يصح ان يكون برهانًا على حقيقتهِ كقوله

لا برّ في الحب يا اهل الهوى قسمي ولا وفت للعلى ان خنتكم ذمي

الا ترى ان هذا الشاعر لما قصد نفي الخيانة عنه حقق ذلك بان حلف عليهِ بمحبتهِ لاصحابه وبعلو همهِ ووفاء ذممهِ ومن كان من المحبة لغيره وعلو الهم وحفظ الذمم بمكانٍ تعذرت عليهِ خيانته ومثل ذلك قوله

لا والذي سلَّ من جفنيه سيفَ ردًى قُدَّت لهُ من عذارِهِ حمائلُهُ
ما صارمت مقلتي دمعًا ولا وصلت غُمضًا ولا سالمت قلبي بلابلُهُ

وقوله وحيوة اشواقي اليـــك وحرمةِ الصبر الجميل
ما استحسنت عيني سوا كَ ولاصبوتُ الى خليل

فلا يخفى على اللبيب ما في المقسم بهِ من البرهان على مدَّعى الشاعر وبيان وجههِ وسببهِ بخلاف قولهِ

حلفتُ بمن سوَّى السماء وشادها ومن مرَجَ البحرين يلتقيانِ
لما خلقت كفاك الاربعِ عقائل لم تُعقَل لهنَّ ثواني
لتقبيل افواهٍ واعطاء نائلٍ وتقليبِ هنديٍّ وحبس عنانِ

فان القسم فيهِ جاء عاريًا عن تلك النكتة البديعة كما ترى فلم يكن له حظٌّ من البلاغة البديعية . واما بيت شيخنا الحموي فعامرٌ بمحاسن هذا النوع فانه قصد اثبات عزمهِ على نأيه عن احبتهِ وسلوهِ لهم فاقسم على ذلك بما يلمحُ الادباء من خلالهِ حجةً على صدق مدعاه لانه افاد فيهِ انهُ جامعٌ بين الادب وعز الشيم ومن كان هذا شأنه حق تصديق مدعاه ولاسيما اذا كان قد اقسم عليهِ فتامل كل ذلك والله اعلم

حُسْنُ ٱلتَّخَلُّصِ

(وَمَنْ غَدَا قِسمُهُ ٱلتَّشْبِيبَ فِي غَزَلٍ
حُسْنُ ٱلتَّخَلُّصِ بِٱلمُخْتَارِ مِنْ قِسَمِي)

حسن التخلص ـ ويسمّى المخلص وبراعة التخلص ايضًا ـ من اهمّ انواع البديع وادلها على تمكن الشاعر ورسوخ قدمهِ وحسن تصرفه وبراعته وحقيقته ان يكون الشاعر آخذًا في قصيدتهِ بغرضٍ من اغراض الشعر كالغزل او الحماسة او نحو ذلك فينتقل الى الغرض المقصود من مدحٍ او رثاء او هجاء او نحو ذلك باختلاس رشيق ومعنًى دقيق بحيث لا يشعر السامع بذلك الانتقال قبل وقوعه لشدة ما بين المعنيين من المناسبة ومن ذلك قول زهير في مدح هَرِم بن سنان

فاستبدلت بعدنا دارًا يمانِيَةً ترعى الخريف فادني دارها ظلمُ
ان البخيل ملومٌ حيث كان ولـــكنّ الكريم على علاّتهِ هَرِمُ

وقول ابي نواس

تقول التي من بيتها خف محملي يعزُّ علينـــا ان نراك تسيرُ
اما دون مصرٍ للغنى متطلّبٌ بلى ان اسباب الغنى لكثيرُ
فقلت لها واستعجلتها بوادرٌ جرت فجرى في اثرهنّ عبيرُ
دعيني اكثّر حاسديكِ برحلةٍ الى بلـــدٍ فيهِ الخصيبُ اميرُ

وقول ابي تمام

زعمت هواكَ عفا الغداةَ كما عفت منها طلولٌ باللوى ورسومُ
ما زلتُ عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلفٍ سواك تحومُ
لا والذي هو عالمٌ ان النوى مرٌّ وان ابا الحسينِ كريمُ

وهذا البيت قد استشهد بهِ ايمة البديع على حسن التخلص وبالغوا في مدحه لما فيهِ من الوثبة من الشطر الاول الى الثاني باسرع اختلاس ولكنه منقود من وجهٍ فانهم شرطوا في حسن التخلص شدة الممازجة والمناسبة بين المعنيين وانت ترى ان لا مناسبة هنا بين مرارة النوى

وكرم ابي الحسين فتامل . ومن المخالص المستحسنة قول المتنبي

خليليَّ اني لااري غير شاعرٍ فكم منهمُ الدعوى ومني القصائدُ
فلا تعجبا ان السيوف كثيرةٌ ولكنَّ سيف الدولة اليومَ واحدُ

ومن بديع ذلك قول البهاء زهير من قصيدة مطلعها

عرف الحبيب مقامهُ فتدلَّلا وقنعتُ منهُ بموعدٍ فتعلَّلا

الى ان قال

اهوى التذلُّل في الغرام وانما يأبى صلاحُ الدين ان اتذلَّلا

فان لم يكن الانتقال على هذا النحو من الوثوب السريع والاختلاس الرشيق والتناسب الشديد فلا يسمَّى حسن تخلص بل اقتضابًا وذلك كقول زهير بن ابي سلمى في معلقتهِ

ظهرنَ من السوبان ثم جزعنهُ على كل قَيني قشيبٍ ومُفأمِ
فاقسمت بالبيت الذي طاف حولهُ رجالٌ بنوه من قريشٍ وجرهمِ
يمينًا لنعم السيدان وُجِدتُما على كل حالٍ من سحيلٍ ومبرَمِ

فان عدم التعلق بين البيت الاول والثاني ظاهرٌ ومثله قول المتنبي

ولقد بكيتُ على الشباب ولمَّتي مسودَّةٌ ولماء وجهي رونقُ
حذرًا عليهِ قبل يوم فراقهِ حتى لكدتُ بماء جفني اشرقُ
اما بنو اوس بن معن بن الرضى فاعزُّ من تحدَى اليهِ الاينقُ

ولايخفى ان الاقتضاب احط مقامًا من حسن التخلص واضعف موقعًا في الاذواق وهو طريقة هجرها المتاخرون ولم يرضوا الاَّ بما يدل على الرشاقة والقوة وعلو الطباق . واما بيت شيخنا الحموي فقد استوفى شرائط حسن التخلص فانهُ وثب فيهِ من الغزل الى المدح باسرع من لمح البصر وانتقال الفكر مع شدة ما بين المعنيين من الملائمة والمناسبة ولطافة المعنى

وفرط الانسجام

الاِطِّرَادُ

(مُحَمَّدُ ٱبْنُ ٱلذَّبِيحَيْنِ ٱلْأَمِينُ أَبُو ٱلْبَتُولِ خَيْرُ نَبِيٍّ فِي ٱطِّرَادِهِمِ)

الاطراد ان يذكر الناظم في بيتٍ واحدٍ اسم الممدوح او غيره مع ما يحتمله المقام من اسماء آبائهِ على ترتيب الولادة من غير تكلفٍ ولا انقطاعٍ بلفظٍ اجنبيٍ ومنهم من اشترط ذكر لقب الممدوح وكنيتهِ وصفتهِ اللائقة بهِ وهو نوع رخيص القدر ليس دونه كبير امرٍ فان لم تكسبه السهولة طلاوةً والانسجام رونقًا وبهجةً سقط من ذرى انواع البديع ومن شواهد الاول قوله

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقوله من يكن رام حاجةً بعدت عنه واعيت عليهِ كل العياء

فلها احمد المرجّى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

ومن شواهد الثاني قوله

موئيد الدين ابو جعفرٍ محمد بن العلقميِّ الوزير

وبيت الشيخ الحموي من قبيل الثاني وسهولته وانسجامه ظاهران والمراد بالذبيحين ابو محمد عبدُ الله بن عبد المطلب وجدُّه القديم اسماعيل بن ابرهيم الخليل ويسمّى كل منهما ذبيحًا لان الاول كان ابوه قد نذر ذبحه واما الثاني فلانهم يزعمون انهُ هو الذي امر الله ابرهيم بذبحه

اَلْعَكْسُ

(عَيْنُ ٱلْكَمَالِ كَمَالُ ٱلْعَيْنِ رُؤْيَتُهُ

يَاعَكْسَ طَرْفٍ مِنَ ٱلْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِيْ)

العكس ويسمّى التبديل ان ياتي المتكلم بكلامٍ ثم يعكسه فيقدم ما أُخر ويؤّخر ما قدّم بحيث يحصل عن ذلك نكتةٌ وزيادةٌ في المعنى وهو يكون اما بين اجزاء جملة كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام وعادات السادات سادات العادات ومنهُ بيت شيخنا الحموي والنكتة ظاهرة فيهِ للمتأمل . او بين اجزاء جملتين كقوله

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ مالُهُ ولا مالّ في الدنيا لمن قلّ مجدُهُ

وقوله فلولا زفيري اغرقتنيَ ادمعي ولولا دموعي احرقتنيَ زفرتي

ومن بديع ذلك قول بعضهم

رقّ الزجاجُ ورافت الخمرُ فتشابها فتشاكل الامرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدَحٌ وكأنما قدَحٌ ولا خمرُ

وقول الاخر

ان الليالي للانام مناهلٌ تُطوَى وتُنشَرُ دونها الاعمارُ
فقصارهنّ مع الهموم طويلةٌ وطوالهنّ مع السرور قصارُ

فاذا خلا العكس من نكتة الادب وزيادة المعنى لم يكن من البديع ومنهُ قوله

لي ولي وجدٌ مقيمٌ عندكم عندكم وجدٌ مقيمٌ لي ولي
ما بُلي بالحبِّ مثلي عاشقٌ عاشقٌ بالحب مثلي ما بُلي

وقوله زعموا اني خؤونٌ في الهوى في الهوى اني خؤون زعموا

أَلتَّرْدِيدُ

(أَبْدَى ٱلْبَدِيعُ لَهُ ٱلْوَصْفَ ٱلْبَدِيعَ وَفِي
نَظْمِ ٱلْبَدِيعِ حَلَا تَرْدِيدُهُ بِفَمِي)

الترديد ان يذكر الناظم في بيتهِ لفظةً ثم يعيدها فيهِ بعينها مع متعلق آخر تفيد بهِ معنًى زائدًا وهذا النوع والتكرار والتعطف انواعٌ متقاربة في حقيقتها وانحطاط قدرها عن رتبة غيرها من انواع البديع والفرق بين الترديد والتكرار ان اللفظة في التكرار تعاد بعينها تاكيدًا دون زيادة معنًى كما سياتي قريبًا وبينه وبين التعطف ان التعطف لا بد فيهِ ان يذكر احد اللفظين في الشطر الاول والآخر في الشطر الثاني كما سياتي ايضًا والترديد لايشترط فيهِ ذلك فهو اعم من التعطف ومن شواهد الترديد قوله

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزانُ ساحتها ... لو مسها حجرٌ مسَّتهُ سرَّاء

ومن ذلك قول المتنبي

يا بدرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ... ليثَ الشرى يا حِمامُ يارجلُ

وقول الآخر

يريك في الروح بدرًا لاح في غسقٍ ... في ليثِ عرِّيسةٍ في صورة الرجلِ

وقد جاء الشيخ الحموي بالترديد في بيتهِ على احسن طرقه

اَلتَّكْرَارُ

(كَرَّرْتُ مَدْحِي حَلَا فِي ٱلزَّائِدِ ٱلْكَرَمِ ٱبْنِ ٱلزَّائِدِ ٱلْكَرَمِ ٱبْنِ ٱلزَّائِدِ ٱلْكَرَمِ)

التكرار ان يذكر الناظم في بيتهِ لفظةً ثم يعيدها فيهِ لفظًا ومعنًى تقريرًا لمدحٍ او ذمٍ او نسيبٍ او تهويلٍ او نحو ذلك من الاغراض كقول المتنبي

افعاله نَسَبٌ لو لم يقل معها ... جَذِي الخصيبُ عرفنا العِرقَ بالغُصنِ
العارضُ الهَتِنُ ابنُ العارض الهتِنِ ابـــنِ العارض الهتِنِ ابنِ العارض الهتِنِ

وقول الاخر

ما زال صدرَ الدست صدرَ الرتبة الـ ... علياء صدرَ الجيش صدر الجحفلِ

وقول الاخر

لساني لسري كتومٌ كتومٌ ... ودمعي بوجدي نمومٌ نمومُ

وقول الاخر

يا لبكرٍ انشروا لي كليبًا ... يا لبكرٍ ابنَ ابنَ الفرارُ

أَلْمَذْهَبُ ٱلْكَلَامِيُّ

(وَمَذْهَبِي فِي كَلَامِي أَنَّ بَعْثَتَهُ ... لَوْ لَمْ تَكُنْ مَا تَمَيَّزْنَا عَلَى ٱلْأُمَمِ)

المذهب الكلامي من اجلِّ الانواع شأنا واعزها ركنا وحقيقته ان ياتي الناظم على صدق دعواه بحجةٍ قاطعة مسلَّمة عند المخاطب وسمّي كذلك لانه جاء على طريقة علم الكلام عند المسلمين وهو عبارة عن اثبات اصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة ومن شواهدهِ قول النابغة يعتذر الى النعمان بن المنذر عن مدحهِ آل جفنة

ملوكٌ واخوانٌ اذا ما مدحتهم ... أُحَكَّمُ في اموالهم واقرَّبُ
كفعلك في قومٍ اراك اصطنعتهم ... فلم ترَهم في مدحهم لك اذنبوا

فكانه يقول لا تعدّ مدحي لقوم احسنوا اليّ وانعموا عليّ ذنبًا لانك لا تعدّ مدحك من قومٍ قد احسنت اليهم وانعمت عليهم ذنبًا ومثله قول الآخر

واسال نجومَ الليل هل زار الكرى ... جفني وكيف يزورُ من لم يعرفِ

فكأنه يقول ان الزائر لا يزور الا من يعرفهُ ولكن الكرى لا يعرف جفني

فهو لم يزره ومثله قوله

ايحسب الصبُّ ان الحبَّ منكتمٌ ما بين منسجمٍ منهُ ومضطرمِ
لولا الهوى لم ترِق دمعًا على طللٍ ولا ارقتَ لذكر البان والعلمِ

فكأنهُ يقول لا تستطيع انكار الحب لان سفح الدمع على اطلال قومٍ والتأرق لذكر منازلهم دليلٌ قاطع على هواهم ولكنك فعلت ذلك فانت صبٌّ عاشقٌ ومثل ذلك ايضًا قوله

ياذا الذي بصروف الدهر عيَّرنا هل عاند الدهرُ الاَّ من لهُ خطَرُ
اما ترى البحر تطفو فوقه جيَفٌ وتستقر باقصى قعرهِ الدُرَرُ
وفي السماء نجومٌ لا عدادَ لها وليس يُكسف الا الشمسُ والقمرُ

والشيخ الحمويُّ قصد في بيتهِ ان يبين لامته بعثة نبيهم محمد فحقق ذلك بما استقر في اعتقادهم من تميزهم على سواهم من الامم

اَلْمُنَاسَبَةُ

(فَعِلْمُهُ وافِرٌ وَٱلزُّهْدُ نَاسَبَهُ وَحِلْمُهُ ظَاهِرٌ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمِ)

المناسبة ضربان لفظية ومعنويَّة اما اللفظية فهي ان ياتي الشاعر بالفاظٍ متقابلة في الوزن فان كانت مقفَّاة ايضًا فهي تامة والا فناقصة وقد جمعها قوله

فاحجمَ لمَّا لم يجد فيك مطمعًا وأقدمَ لمَّا لم يجد عنك مهربا

وقوله مها الوحش الا ان هاتا اوانسٌ قنا الخطِّ الا ان تلك ذوابلُ

فان المناسبة بين احجم واقدم في الاول وبين مها وقنا في الثاني تامةٌ وبين مطمع ومهرب في الاول وبين الوحش والخط واوانس وذوابل في الثاني ناقصة وقد عدَّ صاحب التلخيص المناسبة اللفظية من قبيل

المماثلة غير فارقٍ بينهما ويا ليت غيره اتبعه في ذلك. واما المناسبة المعنوية فقد فسرها الحموي في الخزانة بان قال هي ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنًى دون لفظٍ اه وقد مثلوا لها بقول ابي الطيب

على سابحٍ موجَ المنايا بنحرهِ　　غداة كأن النبل في صدرهِ وبلُ

وقول الاخر

اصحُّ واقوى ما رويناه في الندى　　من الخبر المأثور منذ قديمِ
احاديثُ ترويها السيولُ عن الحيا　　عن البحر عن جود الاميرِ تميمِ

وقالوا ان المناسبة في الاول بين السباحة والموج والوبل وفي الثاني بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور ثم بين الاحاديث والرواية والعنعنة. ولقد اطلت الوقوف في هذا الباب فلم اتبين فرقًا وجيهًا بينه وبين مراعاة النظير القائمة بمناسبة معنًى لمعنًى لانها جمعٌ بين امرٍ وما يناسبه ولو جعلوهما نوعًا واحدًا لكان انسب والله اعلم. وقد جمع الشيخ الحموي في بيتهِ بين نوعي المناسبة اما اللفظية ففي قوله فعلمه وافرٌ وحلمه ظاهر وهي تامة واما المعنوية فبين الحلم والاجترام وهو بيتٌ تامٌّ في السهولة والانسجام

أَلتَّوْشِيعُ

(وَوَشَّعَ ٱلْعَدْلُ مِنهُ ٱلْأَرْضَ فَٱتَّشَحَتْ
بِحُلَّـةِ ٱلْأَمجَدَيْنِ ٱلْعَهْـدِ وَٱلذِّمَمِ)

التوشيع في اللغة لفُّ القطن المندوف كما في شرح التلخيص او من

الوشيعة وهي الطريقة الواحدة في البُرد المطلق كما في الخزانة قال فكأن الشاعر اهمل البيت الا آخره فانهُ اتى فيهِ بطريقةٍ تعدُّ من المحاسن اه والاول اظهر لجواز ان يكون في صدر البيت نوعٌ آخر بل انواعٌ من المحاسن واما في الاصطلاح فهو ان ياتي الناظم في عجز بيتهِ بمثنى مفسَّرٍ باسمين ثانيهما معطوفٌ على الاول وقافيةٌ للبيت كقوله

ابيتُ والليل يطويني وينشرني ... وعنديَ القاتلانِ الخوفُ والحَذَرُ
اذا الكرى اغتال عيني ان يُلِمَّ بها ... الوى بهِ المؤلمانِ الدمعُ والسهرُ
او خاضَ قوميَ ليلاً في حديثهمِ ... لم يُلهِني الملهيانِ الانسُ والسمرُ

وقول الاخر

بي محنتانِ ملامٌ في هوًى بهما ... يرثي ليَ القاسيانِ الحِبُّ والحَجَرُ
لولا الشفيقانِ من امنيةٍ واسًى ... أودَى بيَ المرديانِ الشوقُ والفكرُ

وهو في بيت البديعية ظاهرٌ

أَلتَّكْمِيلُ

(آدَابُهُ تُمِّمَتْ لَا نَقْصَ يَدْخُلُهَا ... وَٱلْوَجْهُ تَكْمِيلُهُ فِي غَايَةِ ٱلْعِظَمِ)

التكميل ان ياتي الشاعر بعد تمام المعنى المقصود بمعنى آخر يزيده كمالاً كقوله

ان الثمانين وبُلِّغتها ... قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقوله نفسٌ عن الحب ما حادت ولا غفلت ... باي معنًى وقاك الله قد قُتِلَتْ

فان التكميل في الاول قوله وبُلِّغتها وفي الثاني قوله وقاك الله ومثله قوله

حليمٌ اذا ما الحلمُ زيَّن اهلهُ ... مع الحلم في عين العدوِّ مَهِيبُ

وقوله لو انّ عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفقٍ لقضى لها

فان في البيت الاول تكميلين من قبيل الاحتراس الاول قوله اذا ما الحلم

زيّن اهله اي اذا كان عن قدرةٍ لا عن عجزٍ والثاني عجز البيت بكماله والتكميل في البيت الثاني قوله عند موفق وهو من قبيل الاحتراس ايضاً اذ ليس كل محكّمٍ موفّقًا وقد عجبتُ للشيخ الحموي كيف لم يفرق في الخزانة بين التتميم والتكميل مع كثرة ما اطال الكلام في ذلك وما ذاك الا انهُ جعل في باب التتميم المعنى المأتي بهِ للاحتراس من قبيل التتميم وهنا جعله من قبيل التكميل ومثل لهُ في البابين بامثلةٍ متعددة وقد مرَّ تحقيق ذلك في باب التتميم. واما بيته المقدم هنا فقد قال في شرحه معنى هذا البيت ايضًا تامٌ بدون قولي لا نقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل اه وفيهِ نظر فقد مرَّ ان التكميل قائمٌ بمعنى آخر يزيد ما قبله كمالاً وقوله هنا لا نقص يدخلها ليس فيهِ معنى زايد على قولهِ تمت فيزيده كمالاً بل هو عينه في المعنى ولم يفد الا التاكيد والتقرير الحاصل من التكرار المعنوي فتامل والله اعلم

اَلتَّفْرِيقُ

(قَالُوْا هُوَ ٱلْبَدْرُ وَٱلتَّفْرِيقُ يَظْهَرُ لِيْ
فِيْ ذَاكَ نَقْصٌ وَهٰذَا كَامِلُ ٱلشِّيَمِ)

التفريق ان يجمع الشاعر بين امرين في حكمٍ ثم يفرق بينهما في حكمٍ آخر يرجح احدهما كقوله

وان الذي سمي عليًا لمنصف وان الذي سماه سيفًا لظالمه
فما كل سيفٍ يقطع الهامَ حدُّهُ وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقوله ما نوال الغمام وقت ربيعٍ كنوال الامير يومَ سخاء

فنوال الامير بدرة عين ٍ ونوال الغمام قطرة ماء

وقوله قاسوك بالغصن في التثني قياس جهل ٍ بلا انتصاف ِ
هذاك غصن الخلاف يدعى وانت غصنٌ بلا خلاف ِ

والتورية في هذا الاخير قد زادته حسنًا ورفعت مقامه عما قبله والحموي قد جمع في بيتهِ بين الممدوح والبدر في حكم الاشراق وجلاء الظلمات ثم فرق بينهما في حكم الكمال فقال ان في البدر نقصًا والممدوح كاملٌ والبيت عامرٌ بالمحاسن

أَلتَّشْطِيرُ

(وَأَنْشَقَّ مِنْ أَدَبٍ لَهُ بِلَا كَذِبٍ شَطْرَيْنِ فِيْ قِسَمٍ تَشْطِيرُ مُلْتَزِمِ)

هذا النوع وما شاكله كالترصيع والتصريع والسجع والمماثلة والتسميط من الانواع اللفظية التي لا تحسن الا اذا كانت تابعةً للمعاني ولا تعتبر من المحسنات البديعية الا اذا طلبتها سجية الكلام فجاءت لطيفة براء من التكلف والتعسف خفيفةً في مسامع اهل الذوق والادب فان لم تكن كذلك تبرأت من حسن البديع بل تبرأ البديع منها وعدّت من المقبحات. وما اتينا بهذا القدر من الكلام الا لما نراه في بعض شعرائنا من كثرة التهافت عليها وزيادة الشغف بها فنراهم اتخذوها في اشعارهم مذهبًا وجعلوها لكلامهم قبلة مغتفرين في جنبها كل ركاكةٍ وعقادة في المعاني

اما التشطير فحقيقته ان يجعل الشاعر كلاًّ من شطري بيتهِ مسجوعًا بسجعة تخالف سجعة الاخر كقوله

تدبير معتصم ٍ باللهِ منتقم ٍ لله مرتغب ٍ في الله مرتقب ِ

وقوله الفاظهُ سورٌ افعالهُ غُرَرٌ اقلامهُ قُضُبٌ آراؤهُ شُهُبُ

وهو ظاهرٌ في بيت الشيخ الحموي

أَلتَّشْبِيهُ

(وَٱلْبَدْرُ فِي ٱلنَّمِّ كَٱلْعِرْجَوْنِ صَارَ لَهُ
فَقُلْ لَهُمْ يَتْرُكُوا تَشْبِيهَ بَدْرِهِمِ)

التشبيه ان يكون شيئان مشتركين في صفة هي في احدهما اقوى فتلحق الادنى فيها بالاعلى وله اقسامٌ وفروع شتى مبسوطة في كتب البيان ولكنه لا يعد بديعًا الّا اذا افاد شيئًا زائدًا على التشبيه كالمبالغة ومن ذلك قوله

وليلٍ كموج البحر ارخى سدولَهُ ... عليَّ بانواع الهموم ليبتلي

وقوله ايقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ... ومسنونةٌ زرقٌ كانياب اغوالِ

وقوله وتحدث الماء الزلال مع الحصى ... فجرى النسيم عليهِ يسمع ما جرى
فكان فوق الماء وشيًا ظاهرًا ... وكان تحت الماء درًا مضمرا

وقوله قيل صف هذا الذي همت بهِ ... قلت في وصفي مع حسن المسالك
هو كالغصن وكالظبي وكالـــشمس والبدرِ وما اشبه ذلك

والمراد بالاعلى في التعريف ما كانت تلك الصفة فيهِ اقوى ولو بحسب الظاهر والمتعارف والى هذا ينظر قول ابي تمام لما انشد احمد بن المعتصم قصيدته السينية التي مطلعها

ما في وقوفكَ ساعةً من باسِ ... نقضي ذمامَ الاربُعِ الأَدراسِ

فانه لما انتهى الى قولهِ مشبهًا

اقدام عمروٍ في سماحة حاتمٍ ... في حلمِ احنفَ في ذكاء اياسِ

قال لهُ بعض من حضر الامير فوق من وصفت فاطرق قليلاً ثم قال

لا تنكروا ضربي لهُ من دونهِ ... مثلًا شرودًا في الندى والباسِ

فالله قد ضرب الاقلَّ لنورهِ مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

والتشبيه في بيت الشيخ الحموي ظاهرٌ وهو بيت كالبدر في تمامهِ

التَّلْمِيحُ

(وَرَدُّ شَمْسَ ٱلضُّحَى لِلْقَوْمِ خَاضِعَةً وَمَا لِيُوشَعَ تَلْمِيحٌ بِرَكْبِهِمِ)

التلميح في اللغة مصدر لَمَّحَ الى الشيء اذا نظر اليهِ بنظرٍ خفيف وفي الاصطلاحِ ان يشير الناظم في بيتهِ الى امرٍ مشهورٍ من قصةٍ او بيت شعرٍ او مثلٍ ومن احسن شواهدهِ قول ابي تمام

فرُدَّت علينا الشمس والليلُ راغمٌ بشمسٍ لهم من جانبِ الخدرِ تطلعُ
نضا ضوؤُها صبغَ الدجنَّة وانطوى لبهجتها ثوب الظلام المجزَّعُ
فواللهِ ما ادري أَأَحلام نائمٍ أَلَمَّت بنا ام كان في الركب يُوشعُ

وقد اشار بذلك الى قصة يوشع ــ وهو المعروف في التوراة يشوع بن نون ــ في استيقافهِ الشمس يوم قتاله للجبارين وامره في ذلك مشهور ومثل ذلك قول بعضهم

لعمروٌ مع الرمضاء والنارِ تلتظي ارقُّ واحنى منك في ساعة الهجرِ

فانهُ اشار بهِ الى ذلك البيت المشهور وهو

المستجيرُ بعمروٍ عند كربتهِ كالمستجيرِ من الرمضاء بالنارِ

والى قصة يوشع المارة اشار شيخنا الحموي في البيت المقدم مقتفيًا في ذلك اثر ابي تمام الا ان موقع هذه الاشارة في بيت ابي تمام اعذب منهُ في بيت الحموي والله اعلم

تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ

(شَيْئَانِ قَدْ أَشْبَهَا شَيْئَيْنِ فِيهِ لَنَا تَبَسُّمٌ وَعَطَا كَٱلْبَرْقِ فِي ٱلدِّيَمِ)

تشبيه شيئين بشيئين ان يشبه الناظم امرين بامرين في الهيئة الحاصلة من اجتماعهما ويسميه البيانيون تشبيه مركب بمركب ومن احسن ما استشهدوا به عليهِ قوله

كان قلوب الطير رطبًا ويابسًا ... لدى وكرها العنّابُ والحشفُ البالي

وقوله كان مثار النقع فوق رؤوسنا ... واسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وقوله كان القلبَ والسلوانَ ذهنٌ ... يحوم عليهِ معنًى مستحيلُ

ولقد اجاد شيخنا الحموي في بيتهِ فانهُ مع صعوبة نظم اسم النوع لكثرة الفاظهِ قد جمع بين الرقة والانسجام وحسن النوع واما بيت الحليّ هنا فبدعة في اللطف وهو قوله

تلاعبوا تحت ظلّ السمر من مرحٍ ... كما تلاعبت الاشبالُ في الأجمِ

الانسجام

(لهُ انسجامُ دموعي في مدائحهِ ... بالله شنّفْ بها باطيبَ الكلمِ)

الانسجام في اللغة مصدر انسجم الدمع والماء اذا انصبّ وفي الاصطلاح ان ياتي الناظم في بيتهِ بكلامٍ عذبٍ خالٍ من العقادة والتكلف سائلٍ في تركيبهِ رقةً كالماء في انحدارهِ وهو نوعٌ يدل على لطافة الطبع وسلامة الذوق بل هو حليةٌ لسائر انواع البديع وكل نوع جاء عاطلاً منهُ فاولى بهِ ان لا يعد من المحسنات البديعية ومن شواهده قول عمرو بن كلثوم في معلقتهِ

ونشرب ان وردنا الماء صفوًا ... ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

اذا ما الملكُ سام الناس خسفًا ... أبينا ان يُقرّ الخسف فينا

ملانا البرّ حتى ضاق عنا ... وظهرَ البحر نملؤهُ سفينا

اذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

وقول ابي تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاولِ
كم منزلٍ في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدًا لاولِ منزلِ

وقول المتنبي

قد كنت اشفق من دمعي على بصري فاليوم كل عزيزٍ بعدكم هانا
اذا قدمتُ على الاهوالِ شيعني قلبٌ اذا شئت ان اسلاكمُ خانا

وقول ابن الفارض

يا اهل ودي انتم أملي ومن ناداكمُ يا أهل ودي قد كفي
عودوا لما كنتم عليهِ من الوفا كرمًا فاني ذلك الخلُّ الوفي
وحياتكم وحياتكم قسمًا وفي عمري بغير حياتكم لم احلفِ
لوان روحي في يدي ووهبتها لمبشري بقدومكم لم أُنصفِ

انظر ايها المتأدب الى هذا الكلام الذي يتطفل النسيم على رقتهِ . والماء على انسجامهِ والشهد على عذوبتهِ . ومن طالع ديوان الشيخ عمر بن الفارض رأى فيهِ من هذا النوع عجائب . وبدائع لا توفَّى من الوصف حقها الواجب . واما شيخنا الحموي فقد كان الواجب عليهِ ان ياتينا هنا ببيت احلى موقعًا وارفع مقاما . واسيل رقةً واوفى انسجاما . واين بيته هذا مع كونه مجردًا لبيان هذا النوع من قوله

وما اروني التفاتًا عند نفرتهم وانت يا ظبي ادرى بالتفاتهم

وقوله عفت القدود فلم استثن بعدهمُ الا معاطف اغصان بذي سلمِ

اَلتَّفْصِيلُ

(وَإِنْ ذَكَرْتُ زَمَانًا ضَاعَ مِنْ عُمُرِي
فِي غَيْرِ تَفْصِيلِ مَدْحٍ صِحْتُ يَانَدَمِي)

التفصيل من الانواع السافلة النادرة الوقوع لا لعلو قدرهِ وارتفاع مناره بل لعدم الاقبال عليهِ والعناية بهِ وقد ذكر في الخزانة ان اكثر البديعيين لم يذكروهُ في مصنفاتهم وحقيقته ان ياتي الشاعر بشطرِ بيتٍ لهُ متقدم صدرًا او عجزًا فيجعله شطرًا لبيت آخر بعد ان يوطئ لهُ توطئة حسنة كقول الحلّي في بديعيتهِ

صلّى عليهِ الهُ العرش ما طلعت شمسُ النهارِ ولاحت انجمُ الظُّلَمِ

فان صدر هذا البيت قد اتى بهِ من قوله في قصيدة متقدمة

صلّى عليهِ اله العرش ما طلعت شمس النهار ولاحت انجم الغسقِ

ومثل ذلك صدر بيت الشيخ الحموي فقد ذكر انهُ تقدم لهُ في بيت من قصيدةٍ فائية وهو

وان ذكرت زمانًا ضاع من عمري ولم اهاجر اليهِ صحتُ يا أسفا

اَلنَّوَادِرُ

(نَوَادِرُ الْمَدْحِ فِي أَوْصَافِهِ نَشِقَتْ
مِنْهَا الصَّبَا فَأَتَتْنَا وَهْيَ فِي شَمَمِ)

النوادر ان يعمد الشاعر الى معنًى مبتذلٍ فيتصرف فيهِ بما يخرجه الى الغرابة من زيادةٍ يستحقه بها دون من سواه ومنهم من يسميهِ الاغراب والطرفة ومن شواهدهِ قوله

لم تلقَ هذا الوجه شمس نهارنا　　الا بوجهٍ ليس فيهِ حياءُ

وقوله تراءَى ومرآةُ السماءِ صقيلةٌ　　فأثَّر فيها وجهُهُ صورةَ البدرِ

وقوله وهو في غاية اللطف

عرض المشيبُ بعارضيهِ فاعرضوا　　وتقوضت خيم الشباب فقوَّضوا

ومن العجائب والعجائب جمَّةٌ　　بينٌ غراب البين فيهِ ابيضُ

ومثله في الحسن قول ابي نواس

هبَّت لنا ريحٌ يمانيـــةٌ　　متَّت الى القلب باسبابِ

ادَّت رسالاتِ الهوى بيننـا　　عرفتها من بين اصحابي

والذي ارى ان الشيخ عُمَر بن الفارض بنور هذا البيت استضاء بل عنهُ اخذ وبهِ اقتدى في قوله

يا اخت سعدٍ من حبيبي جئتني　　برسالةٍ أدَّيتهـــا بتلطُّفِ

فسمعتُ ما لم تسمعي ونظرتُ ما　　لم تنظري وعرفتُ ما لم تعرفي

ومهما يكن من ذلك فان هذا الكلام سحرٌ حلال. وغريبٌ في الحسن لم يسبق لهُ مثال. واما بيت الشيخ الحموي فمن النوادر في هذا الباب وهو لعمري بيتٌ ارقُّ من الصبا واضوع نشرًا من عرف الرُّبى والنادرة البديعية فيهِ قوله وهي في شمم فان نسبة الشمم ـ وهو الكِبْرُ والخُيلاء ـ الى نسيم الصبا غريبةٌ لم يسبق اليها ؛

أَلْمُبَالَغَةُ

(بَالِغْ وَقُلْ كَمْ جَلَا بِٱلنُّورِ لَيْلَ وَغًى
وَٱلشُّهْبُ قَدْ رَمِدَتْ مِنْ عِثْيَرِ ٱلدُّهُمِ)

المبالغة ـ ويقال لها التبليغ ايضًا ـ ان يدَّعي الشاعر لشيءٍ وصفًا زائدًا

على الحقيقة وممكنًا عقلاً وعادةً ولكنه بعيد كقول امرء القيس في وصف فرسهِ

فعادى عداء بين ثورٍ ونعجةٍ دراكًا ولم ينضح بماء فيغسل

وقول المتنبيء في مثل ذلك

واصرع ايَّ الوحش قفَّيته بهِ وانزل عنه مثله حين اركبُ

وقولهِ اخلت مواهبك الاسواق من صنَعٍ اغني نداك عن الاعمال والمِهَنِ

وقد رأيت بعض البديعيين خلطوا بين المبالغة والاغراق فمثلوا لها بقولهِ

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقولهِ اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبُه

والذي ارى ان ذلك من الاغراق الخالص فان اتباع الجار الكرامة حيث مال واضاءة الاحساب والوجوه دجى الليل حتى ينظّم الجزع على اضوائها لمن المستحيل عادة كما لا يخفى وقد ذكر صاحب التلخيص البيت الاول في باب الاغراق واما بيت الشيخ الحموي فقد ذكر ان في الشطر الاول مبالغةً تامة وفي الثاني زيادة بما هو ابلغ من ذلك والذي يظهر انهُ لا اقل من ان يكون الشطر الثاني من قبيل الاغراق فتاملّ

أَلْإِغْرَاقُ

(لَوْ شَاءَ إِغْرَاقَ مَنْ نَاوَاهُ مَدَّ لَهُ فِيْ ٱلْبَرِّ بَحْرًا بِمَوْجٍ فِيْهِ مُلْتَطِمِ)

الاغراق ان يدّعي الشاعر لشيء وصفًا ممكنًا عقلًا لا عادةً فهو بين المبالغة والغلو وسياتي الكلام على الغلو والاحسن ان يقترن بما يجعله مقبولاً ويخرجه من جانب الاستحالة الى جانب الامكان كاداة الشرط

الامتناعي او المقاربة ومنهُ قوله

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت   عليَّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة اوزقا   اليها صدًى من جانب القبر صائحُ

وقوله   لوكان يقعد فوق الشمس من كرمٍ   قوم باولهم او مجدهم قعدوا

وقوله   كأني هلال الشك لولا تأوُّهي   خفيت فلم تهدَ العيون لرؤيتي

وقوله في وصف جوادٍ

يكاد من شأوِهِ لولا اسكنُهُ   لو طار ذو حافرٍ من قبله طارا

ومما جاء من ذلك مطلقًا من اداة التقريب قوله

قد سمعتم انينه من بعيدٍ   فاطلبوا الشخص حيث كان الانينُ

وقوله   صحيحٌ عليلٌ فاطلبوني من الصبا   ففيها كما شاء النحولُ مقامي

واما بيت الشيخ الحموي فقد جاء على سنن الاغراق مقترنًا بلو وهو بيت عامرٌ بالمحاسن وقد جاءت التورية فيهِ على غاية السهولة واللطافة

الْغُلُوُّ

(بِلاَغُلُوٍّ إِلَى ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ سَرَى   وَعَادَ وَٱللَّيْلُ لَمْ يَحْفِلْ بِصُبْحِهِمِ)

الغلو ان يدعي الشاعر لشيء وصفًا مستحيلاً عقلاً وعادة ولا بد لقبولهِ في الذوق من تقريبهِ الى الامكان بفعل المقاربة او الشك او بحرف الشرط او نحو ذلك كقولهِ في وصف فرسٍ

ويكاد يخرج ساعةً من ظلهِ   لوكان يرغب في فراق رفيقِ

وقوله   ومشيت مشية خاشعٍ متواضعٍ   لله لا تزهو ولا تتكبَّرُ
لو انَّ مشتاقًا تكلَّفَ فوق ما   في وسعهِ لسعى اليك المنبرُ

وقوله   تكاد قسيهُ من غير رامٍ   تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سلٍّ   تجد الى رقابهم انسلالا

وقد يغني في قبوله عن اداة التقريب التخييلُ الحسن كقولهِ

يُخَيَّلُ لي أن سُمِّرَ الشهبُ في الدجى وشُدَّت باهدابي اليهن اجفاني

واخراجُ الكلام مخرج الهزل كقولهِ

اسكر بالامس ان عزمت على الشر ب غداً ان ذا من العجبِ

فان لم يكن فيهِ شيءٌ من ذلك لم يكن مقبولاً ولا بعد من المحسّنات كقول المتنبي

ومذ مررت على اطوادها قرعت من السجود فلا نبتٌ على القنن

وقوله فلما شربناها ودب دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها قفي

مخافةَ ان يسطو عليَّ شعاعُها فيطلع ندماني على سرّيَ الخفي

اي مخافة ان يسطو عليَّ شعاعها بحيث اصير بهِ شفَّافًا فيبدو باطني للنديم ولا يخفى ما في هذا الغلو من المجاوزة الغير المقبولة واما بيت الشيخ فقد ذكر في الخزانة انهُ لو كان في مدح غير محمَّدٍ لم يكن مقبولاً لمجيء الغلو فيهِ عاريًا عن كل اداةِ تقريبٍ والله اعلم

إِئتِلَافُ ٱلْمَعنَى مَعَ ٱلْمَعنَى

(سَهْلٌ شَدِيدٌ لَهُ بِٱلْمَعْنَيَيْنِ بَدَا تَآلُفٌ فِي ٱلْعَطَا وَٱلدِّيْنِ لِلْعِظَمِ)

ايتلاف المعنى مع المعنى قريب من المناسبة المعنوية بل فرعٌ منها ولم اتبين فرقًا بينها سوى انهم ذكروا هنا انهُ لابد ان يذكر مع المعنى الاول امران ملائمان او مختلفان والمناسبة لا يجب ان يذكر فيها مع المعنى الاول الا معنًى واحد ملائم كما مرَّ ومن ثمَّ فقد قسموا ائتلاف المعنى مع المعنى الى قسمين الاول ان يذكر المتكلم معنى ويذكر معه امرين احدها ملائم

لهُ والاخر غير ملائم فيقرنه بالملائم كقوله

فالعرب منهُ مع الكدريّ طائرةٌ والروم طائرةٌ منهُ مع الحَجَلِ

فان الكدري لما كان ينفر طبعًا من العمران ولا ياوي من الارض الاّ الى السهول والمهامهِ كان ملائمًا للعرب الذين شانهم كذلك بخلاف الحجل الذي ياوي الى الجبال والمشاجر مما هو شان الروم

والثاني ان يذكر المتكلم معنًى ثم يذكر معه امرين يلائمانه الاّ ان احدهما اكثر ملاءمة فيقرنه بهِ كقوله

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ كانك في جفن الرّدَى وهو نائمُ

تمرُّ بك الابطال كلْمَى هزيمةً ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسمُ

فلا يخفى ان كلاًّ من العجزين يلائم الصدر الاول ولكن تشبيه حال الممدوح في ذلك الموقف المهلك بحال من يكون في جفن الهلاك والهلاك نائمٌ انسب بقولهِ وقفت وما في الموت شك لواقفٍ من العجز الثاني .

واما بيت الشيخ الحمويّ فقد قال انهُ من القسم الثاني وذكر انه قرن فيهِ السهولة بالعطاء والشدة بالدين ولي فيهِ بحثٌ فقد عرفت ان القسم الثاني من ائتلاف المعنى مع المعنى يجب ان يذكر فيهِ المتكلم معنىً ثم ملائمين يفضل احدهما على الاخر في اقترانهِ بالمعنى الاول لمزية لهُ والعطاء والدين في بيت الشيخ لا يلائمان كلاً من السهولة والشدة بل انما يلائم العطاء السهولة والدين الشدة كما لا يخفى وعليهِ فلا ارى هذا البيت الا من قبيل اللف والنشر المرتب ويمكن جعلهُ من القسم الاول من هذا النوع فتامل

نَفْيُ ٱلشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ

(لَا يَنْتَفِي ٱلْخَيْرُ مِنْ إِيجَابِهِ أَبَدًا   وَلَا يَشِينُ ٱلْعَطَا بِٱلْمَنِّ وَٱلسَّأَمِ)

نفي الشيء بايجابهِ ان يقصد المتكلم نفي امرٍ فيثبته في الظاهر وينفي متعلقًا لهُ كقولهِ

بارضٍ خلاء لا يُسَدُّ وصيدها   عليَّ ومعروفي بها غير منكرِ

وقوله افدي ظباء فلاةٍ ما عرفنَ بها   مَضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ

ولا برزنَ من الحمَّام ماثلةً   اوراكهنَّ صقيلات العراقيبِ

فان الاول اثبت في الظاهر الوصيد ونفي سدَّه والثاني اثبت الحمَّام ونفى بروزهنَّ منه مع ان المراد في الحقيقة نفي الوصيد والحمَّام مطلقًا . وكذا بيت الشيخ الحموي فانهُ اثبت في الظاهر للممدوح المنَّ والسأَم ونفى شين العطاء بهما مع ان مراده في الحقيقة نفيهما مطلقًا

أَلْإِيغَالُ

(لِلْجُودِ فِي ٱلسَّيْرِ إِيغَالٌ إِلَيْهِ وَكَمْ   حَبَا ٱلْأَنَامَ بِوُدٍّ غَيْرِ مُنْصَرِمِ)

الايغالُ في اللغة مصدر اوغلَ في البلاد اذا أَبعدَ فيها وبالغ في دخولها وفي الاصطلاح ان يختم الشاعر بيته بنكتةٍ يتم المعنى بدونها . وتلك النكتة اما زيادة المبالغة كقول الخنساء

وان صخرًا لتاتمُّ الهداة بهِ   كأنَّهُ عَلَمٌ في راسهِ نارُ

فان قولها في راسه نار نكتةٌ في المبالغة تمَّ المعنى من قبلها بدونها ولكنها لما احتاجت الى القافية جاءت بذلك مفيدًا زيادةً . وقد تكون النكتة زيادة تحقيق التشبيه كقوله

كأنَّ عيون الوحش حول خبائنا　　وارحلنا الجَزْعُ الذي لم يثقَّبِ

وقوله　كأنَّ فُتات العِهنِ في كل منزلٍ　　نزلن بهِ حب الفنا لم يحطَّمِ

والايغال في قولهِ الذي لم يثقب ولم يحطم والمعنى تامٌ بدونهما ولكنهما زادا التشبيه تحقيقًا لان الجزع وهو الخرز اليماني اذا لم يثقَّب كان اشبه بالعين وكذا حب الفنا وهو عنب الثعلب فانهُ اذا لم يحطَّم اي يكسَّر كان اشبه بفتات العهن وهو الصوف الاحمر. وبيت الشيخ الحموي من قبيل الاول اي ما كانت النكتة فيهِ زيادة المبالغة لان المعنى قد تم قبل قوله غير منصرم ولكنها افادت مبالغةً لم تكن من قبل ومثله في ذلك قول الحليّ

كأنَّ مرآهُ بدرٌ غير مستترٍ　　وطيبَ رياه مسك غير مختتمِ

اَلتَّهْذِيبُ وَالتَّأْدِيبُ

(تَهْذِيبُ تَأْدِيبِهِ قَدْ زَادَهُ عِظَمًا　　فِي مَهْدِهِ وَهْوَ طِفْلٌ غَيْرُ مُنْفَطِمِ)

التهذيب والتاديب ان ياتي الشاعر بكلامٍ مثقفٍ منقحٍ يردد فيهِ نظره بعد عمله بحيث ياتي جامعًا بين رقة اللفظ ودقة المعنى ولا يترك فيه لغيرهِ مُنتقدًا . وقد كان زهير بن ابي سلمى يُعنَى بتهذيب شعرهِ حتى قيل انهُ كان ينظم بعض قصائدهِ في اربعة اشهر وينقحها في اربعة اشهر ويعرضها على العلماء من اصحابهِ في اربعة اشهر وهذه القصائد تعرف لذلك بالحوليات ومن شواهد هذا الباب قوله في معلقتهِ

رايتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تُصِبْ　　تُمِتْهُ ومن تخطئْ يُعمَّرْ فيهرَمِ

ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ　　يضرَّس بانيابٍ ويوطأْ بمنسمِ

ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ　　يَفِرْهُ ومن لا يتقِ الشتم يُشتمِ

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضلهِ　　على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويُذمَمِ
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ　　وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

وقول التهامي

اني لارحم حاسدِيَّ لحرِّ ما　　ضمَّت صدورهُمُ من الاوغار
نظروا صنيعَ الله بي فعيونهم　　في جنةٍ وقلوبهم في نارِ

واما بيت الشيخ الحموي فقد جاء مهذبًا على ما مرَّ وقال في شرحه انهُ يشتمل على عشرة انواع من البديع.

مَا لَا يَسْتَحِيلُ بِالِانْعِكَاسِ

(بَحْرٌ وَذُوْ أَدَبٍ بَدَا وَذُوْ رَحَبٍ
لَمْ يَسْتَحِيلْ بِانْعِكَاسٍ ثَابِتُ ٱلْقَدَمِ)

ما لا يستحيل بالانعكاس ان ياتي المتكلم بكلامٍ لو عكسه لكان عكسه كطردهِ وهذا النوع لا يعدُّ من المحاسن الَّا اذا كان بريئًا من التكلف والعقادة وقد يكون في البيت كله وهو الغاية فيهِ كقوله

مودته تدوم لكلِ هولٍ　　وهل كلٌّ مودته تدومُ

فان هذا البيت لو عكستهُ لوجدته كما تراه الان. وقد يكون في شطر منهُ كقولهِ

برق سناء كانس قربٍ　　برشفِ طلٍ ولطف شربِ

وقوله (ارانا الاله هلالاً انارا) ومن هذا القبيل بيت الشيخ الحموي فان ما لا يستحيل بالانعكاس قد وقع في صدرهِ وهو سهل منسجمٌ

أَلتَّوْرِيَةُ

(أَوْصَافُهُ ٱلْغُرُّ قَدْ حَلَّتْ بِتَوْرِيَةٍ　　جِيْدِي وَعَقْدَ لِسَانِي بَعْدَ ذَا وَفَمِي)

التورية نوع كبير دقيق لهُ في النفس موقع لطيف ولكنه صعب المسالك لايحسن الجري في مضمارهِ الأمن انقادت لهُ البلاغة بزمام وهي في اللغة مصدر ورّى الخبر اذا اخفاه واظهر غيره وفي الاصطلاح ان ياتي الشاعرُ بلفظٍ لهُ معنيان ظاهران احدهما قريب والاخر بعيد فيريد بهِ البعيد اعتمادًا على قرينةٍ خفيةٍ وهي اربعة اقسامٍ مجرّدة ومرشحة ومبينة ومهيأة . اما المجرّدة فهي ما لايذكر فيها ملائم لاحد المعنيين كقولهِ

كأنّ نيسان اهدى من ملابسهِ لشهر كانون انواعًا من الحُلَلِ
او الغزالةَ من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحَملِ

فانهُ ورى بالغزالة الوحشية عن الغزالة الشمسية ولم يقرنها بما يلائم احدهما بالخصوص واما الجدى والحمل فليسا مما يلائم احدهما دون الاخر لوقوع الاشتراك فيهما ايضاً . ومنهم من يلحق بالتورية المجردة ما ذكر فيها لكل من المعنيين ملائمٌ ولكنها متكافآن في الدلالة كقولهِ

ووراء تسدية الوشاح ملية بالحسن تملح في القلوب وتعذبُ

فان الملائمين في هذا البيت لمعني تملح هما ملية الحسن وهو ملائمٌ للمعنى البعيد الذي هو الملاحة وتعذب وهو ملائم للمعنى القريب الذي هو الملوحة وكلاهما متعارضان متكافآن لا يرجح احدهما على الاخر.

واما المرشحة فهي ما يذكر فيها ملائمٌ للمعني المورّى بهِ اي القريب كقوله

بقارعة الطريق جعلت قبري لاحظى بالترحم من صديقي
فيا مولى الموالي انت اولى برحمة من يموت على الطريق

ورى بالطريق الذي هو الممر ... المراسم الالهية التي تسمّى بالطريق

ايضاً وذكر قبله قارعة الطريق وهو مما يلائم المعنى القريب ومثل ذلك قوله

فلما نأت عنا العشيرة كلها   انخنا فحالفنا السيوف على الدهرِ
فما اسلمتنا عند يوم كريهةٍ   ولا نحن اغضينا الجفون على وقرِ

فانه اراد بالجفون اغماد السيوف فورى عنها بجفون العين فقرنها بما يلائمها وهو الاغضاء . واما المبينة فهي ما يذكر فيها ملائمٌ للمعنى المورى عنهُ اي البعيد كقولهِ

قاسوك بالغصن في التثني   قياس جهلٍ بلا انتصافِ
هذاك غصنَ الخلافِ يُدعَى   وانت غصنٌ بلا خلافِ

فان الخلاف الثاني يحتمل المخالفة وهو المعنى القريب المورّى بهِ ويحتمل شجر الخلاف وهو المعنى البعيد المورّى عنهُ وقد تقدم ذكر ملائم لهُ وهو قوله غصن الخلاف ومثل ذلك قوله

ارى ذنب السرحان في الافق ساطعاً   فهل ممكنٌ أنَّ الغزالة تطلعُ

فان ذنب السرحان يحتمل اول ضوء الفجر وذنب الذئب فورّى بالثاني عن الاول وقرنه بملائمه وهو ساطعاً

واما المهيأة فهي التي يذكر فيها ملائم لولاه لم تتهيأ التورية ولم يتنبه اليها كقولهِ

لولا التطير بالخلاف وأنهم   قالوا مريضٌ لا يعود مريضا
لقضيت نحباً في جنابك خدمةً   لاكون مندوباً قضى مفروضا

فلولا ذكر المفروض لما تُنُبِّهَ الى التورية في المندوب الذي يحتمل ان يكون احد الاحكام الشرعية وان يكون الميت الذي يبكى عليهِ وهذا

هو المعنى البعيد المورّى عنهُ . واما بيت الشيخ الحموي فانهُ لم يذكر لهُ شرحًا في الخزانة ولم يقل عليهِ كلمةً مع كثرة ما بسط الكلام في باب التورية والذي يظهر ان التورية فيهِ مهيأة ثلاثية وشاهدها قوله حلّت فانه يحتمل ان يكون من الحلي بمعنى الزينة وهو المعنى القريب المورّى بهِ وقد ذكر لهُ ملائمًا وهو الجيد وان يكون من الحلّ وان يكون من الحلاوة وهما المعنيان البعيدان المورى عنهما وقد ذكر لكلٍ منهما ملائمًا مهيئًا وهو عقد اللسان في الاول والفم في الثاني واما قوله بعد ذا فحشو لامحل لهُ ولا فائدة فيهِ وقد ذكرت يومًا لبعض الادباء الافاضل هذا البيت وانكرت هذا الحشو على الشيخ الحموي فقال لي ان عنده رواية اخرى لهذا البيت يذكر فيها (والحشى) مكانَ (بعد ذا) فاستحسنت ذلك وقلت لو فُوِّضَ اليَّ تصحيح الرواية التي بيدي لتبدلت ذلك الحشو بهذا الحشى فانهُ يهيئ لحلت معنًى رابعًا من الحلول فتكون التورية رباعية والله اعلم

أَلْمُشَاكَلَةُ

(مَنِ أَعْتَدَى فَبِعَدْوَانٍ يُشَاكِلُهُ لِحِكْمَةٍ هُوَ فِيهَا خَيْرُ مُنْتَقِمِ)

المشاكلة ان يقصد الشاعر معنى فيذكره بلفظ معنًى آخر مصاحب لهُ كقول شاعرٍ فقيرٍ وقد ارسل اليهِ اصحابه يدعونه الى الصبوح في يومٍ باردٍ ويسالونه ما يشتهي من الطعام

اصحابنا قصدوا الصبوح بسحرةٍ وأتى رسولهمُ اليَّ خصيصا
قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخه قلت اطبخوا لي جبةً وقميصا

اراد ان يقول خيطوا فقال اطبخوا لوقوعه في صحبة الطبخ ومثله قوله

الا لا يجهلن احدٌ علينا　　فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقوله　واذا بليتَ بظالمٍ كن ظالمًا　　واذا لقيتَ ذوي الجهالة فاجهلِ

والشيخ الحموي ذكر في بيتهِ العقاب بلفظ العدوان لوقوعه في صحبة اعتدى وهو ماخوذ من قول القرآن فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليهِ بمثل ما اعتدى عليكم اراد فعاقبوه

اَلْجَمْعُ مَعَ اَلتَّقْسِيمِ

(جَمْعُ ٱلْأَعَادِيْ بِتَقْسِيمٍ يُفَرِّقُهُ　　فَٱلْحَيُّ لِلْأَسْرِ وَٱلْأَمْوَاتُ لِلضَّرَمِ)

الجمع مع التقسيم ان يذكر الشاعر متعددًا تحت حكمٍ ثم يفصل ذلك كقولهِ

حتى اقامَ على أرباض خرشنةٍ　　تشقى به الرومُ والصلبانُ والبِيَعُ

للسبي ما نكحوا والقتل ما وَلَدوا　　والنهب ما جَمَعوا والنار ما زَرَعوا

جمع الروم تحت حكم الشقاء في البيت الاول ثم قسم ذلك في البيت الثاني . ويلحق بهذا النوع عكسه اي التقسيم مع الجمع وهو ان يذكر اولاً مفصلاً ثم يجمع تحت حكمٍ واحدٍ واستشهدوا على ذلك بقولهِ

قومٌ اذا حاربوا ضروا عدوَّهمُ　　او حاولوا النفعَ في اشياعهم نفعوا

سجيةٌ تلك منهم غيرُ محدثةٍ　　ان الخلائق فاعلم شرها البِدَعُ

فانهُ قسم في البيت الاول صفتهم الى ضر الاعداء ونفع الاشياع ثم جمع ذلك في الثاني تحت حكم السجية اللازمة . وبيت الشيخ الحموي من قبيل الاول وهو ظاهرٌ

أَلْجَمْعُ مَعَ ٱلتَّفْرِيقِ

(سَنَاهُ كَالْبَرْقِ إِنْ أَبْدَوْا ظَلَامَ وَغًى
وَٱلْعَزْمُ كَالْبَرْقِ فِيْ تَفْرِيْقِ جَمْعِهِمِ)

الجمع مع التفريق ان يذكر الشاعر امرين تحت حكم و يفرق بين جهتي صدقهِ عليهما كقولهِ

فوجهك كالنار في ضوئها　　وقلبي كالنار في حرها

فانظر كيف جمع بين الوجه والقلب في حكم التشبيه بالنار وفرّق بينهما في وجه الشبه ومثل ذلك قوله

تَشابَهَ دمعانا غداة فراقنا　　مشابهةً في قصةٍ دون قصةِ
فوجنتها تكسو المدامع حمرةً　　ودمعي يكسو حمرة اللونِ وجنتي

والشيخ الحموي ذكر في بيتهِ سنا الممدوحِ وعزمه تحت حكم التشبيه بالبرق ولكنه فرّق بينهما في وجه الشبه وهو في الاول الضياء وفي الثاني المضاء

أَلْإِشَارَةُ

(وَمِنْ إِشَارَتِهِ فِي ٱلْحَرْبِ كَمْ فَهِمَ ٱلْ　　أَنْصَارُ مَعْنًى بِهِ فَازُوا بِنَصْرِهِمِ)

الاشارة ان يقصد الشاعر معاني كثيرة فيومىء اليها بالفاظٍ قليلة كقول امرء القيس

على هيكلٍ يعطيك قبل سؤالهِ　　افانينَ جريٍ غير كزٍّ ولا وانِ

وقول الآخر

فاني لو لقيتك واجتمعنا　　لكان لكل منكرة كفاء

وقوله يوماً باجود منهُ سيب نافلةٍ ولا يحول عطاء اليوم دون غدِ

فان الاول اشار بافانين الجري الى جميع انواع العدو المحمودة بدليل السوال والثاني اشار بكفاء الى انهُ يقابل كل منكرة بما يماثلها والثالث اشار الى انهُ اذا كان سيب نوافله فاضلاً في الجود فما ظنك بسيب فروضهِ ولو اريد في هذه الابيات التعبير عن المعاني المذكورة بالفاظها لاحتيج الى الفاظ كثيرة والاشارة في بيت الشيخ الحموي بقولهِ ومن اشارتهِ في الحرب وقولهِ كم فهم الانصار معنًى وهذا البيت عامرٌ بالرقة والانسجام. ولقد طال تاملي في الفرق بين الاشارة وايجاز القصر فلم اشم لهُ وميضاً فلو جعلوهما نوعاً واحداً لكان ذلك اوفى بالايجاز والاشارة فتامل

أَلتَّوْلِيدُ

(تَوْلِيدُ نُصْرَتِهِمْ يَبْدُو بِطِلْعَتِهِ مَا ٱلسَّبْعَةُ ٱلشُّهْبُ مَا تَوْلِيدُ رَمْلِهِمِ)

التوليد ان يحتاج الشاعر الى معنًى من معاني غيرهِ فياخذه ويفرع منهُ معنًى آخر يستحقه بهِ كقول بعضهم

كأنَّ عذاره في الخد لامٌ ومبسمه الشهيّ العذب صادُ
وطرة شعرهِ ليلٌ بهيمٌ فلا عجبٌ اذا سُرِقَ الرقادُ

فان تشبيهه العذار باللام والفم بالصاد والشعر بالليل مسبوق اليهِ من كثيرٍ ولكنه ولّد من تلك اللام والصاد لصّاً سرق رقادَه وهو توليد غايةٌ في الحسن والابداع ومثله قول بعضهم

قد يدرك المبطىء من حظهِ والخيرُ قد يسبق جهد الحريص

فانهُ اخذه من قوله

ومستعجلٍ والمكثُ ادنى لرشدهِ ولم يدرِ في استعجالهِ ما بيانه

وولّد منهُ تذييلاً وتمثيلاً في الشطر الثاني وبيت الشيخ الحموي قال انهُ ولده من قول ابي تمام

والنصر من شهب الارماح لامعةً بين الخميس علا في السبعة الشهب

أَلْكِنَايَةُ

(قَالُوا طَوِيلُ نِجَادِ ٱلسَّيفِ قُلْتُ وَكَمْ
لِنَارِهِ أَلسُنٌ تَكْنِي عَنِ ٱلْكَرَمِ)

الكناية ان يقصد الشاعر معنى فلا يورده بلفظهِ الموضوع لهُ بل بلفظٍ آخر يلزم من معناه المعنى المراد كقولهِ

الضاربين بكل ابيض مخذمٍ والطاعنين مجامع الاضغانِ

كنى بمجامع الاضغان عن القلوب ومثله الشيخ الحموي فانهُ كنى بطول النجاد عن طول القامة وبألسن النار عن كثرة القرى والكرم وللكناية بحث طويل في علم البيان فمن اراد التوسع فيها فعليهِ بكتب البيانيين

أَلْجَمْعُ

(آدَابُهُ وَعَطَايَاهُ وَرَأْفتهُ سَجِيّةٌ ضِمْنَ جَمْعٍ فِيهِ مُلْتَئِمِ)

الجمع نوعٌ ليس وراءه كبيرُ امرٍ ولا فيهِ من الحسن ما يؤهله للانتظام في سلك المحسنات البديعية وحقيقته ان يجمع الناظم متعددًا في حكمٍ واحدٍ كقولهِ

ان الشباب والفراغ والجدَه مفسدةٌ للمرء ايُّ مفسدَه

وقوله فالجور والبخل والاشراك منصدعٌ والعدل والجود والايمان ملتئمُ

وهو في بيت الشيخ الحموي اظهر من ان يبيَّن

اَلسَّلْبُ وَالإِيجَابُ

(إِيجَابُهُ بِالْعَطَايَا لَيْسَ يَسْلُبُهُ وَيَسْلُبُ الْمَنَّ مِنْهُ سَلْبَ مُحْتَشِمِ)

السلب والايجاب اختلف في حقيقته ائمة البديع فمنهم من قال هو ان يذكر الشاعر معنًى منفيًا من جهةٍ ومثبتًا من جهة أُخرى وهذا الذي مشى عليهِ اصحاب البديعيات ومنهم من قال هو ان يقصد المادح افراد ممدوحهِ بصفةٍ لا يشرك فيها غيره فينفيها في اول كلامهِ عن جميع الناس ثم يثبتها لممدوحهِ والاول اظهر واحسن ومنهُ قوله

لا يفطنون لعيب جارهمِ وهم لحفظ جوارهِ فُطُنُ

وقوله ونُنكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقولُ

ومن هذا القبيل بيت شيخنا الحموي فانهُ نفى اولاً عن الممدوح السلب من جهة الايجاب بالعطايا ثم أثبته لهُ من جهة المنّ وبيت الحليّ هنا غاية في الحسن وهو قوله

اغرُّ لا يمنع الراجين ما طلبوا ويمنع الجار من ضيمٍ ومن هرمِ

واما الثاني فقد استشهدوا عليهِ بقول الخنساء في اخيها صخر

وما بلغت كفُّ امرىءٍ متطاولاً من المجد الاَّ والذي نلتَ اطولُ

ولا بلغ المهدون للناس مدحةً وإن اطنبوا الاَّ الذي فيك افضلُ

فانها نفت الاطولية في المجد والافضلية في المدح عن جميع الناس واثبتتها لهُ

التقسيم

(هُدَاهُ تَقْسِيمُهُ حَالِي بِهِ صَلُحَتْ حَيًّا وَمَيْتًا وَمَبْعُوثًا مَعَ ٱلأُمَمِ)

التقسيم ان يكون الشاعر آخذًا في معنى فيستوفي اقسامه كلها غير مغادر منها قسمًا كقول زهير

فان الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ او شهودٌ او جلاءُ

وقوله واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

وقول سيبويه

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق ايمنُ الله ما ندري

وقول الاخر

سدَّ الحجاج عن الهزيمة سبلهُ فسقاهُ ماء الموت دجنٌ اسودُ

ثمَّ انجلى عنهُ القتام فهاربٌ ومزمَّلٌ بدمائهِ ومصفَّدُ

ومن تدبَّر هذا النوع رأَى ان بينه وبين الطيّ والنشر عمومًا وخصوصًا من وجهين . وهو ظاهر في بيت الشيخ الحموي فانهُ قد استوفى اقسام حال الانسان من الحيوة والموت والبعث كما ترى

الايجاز

(أَوْجِزْ وَسَلْ أَوَّلَ ٱلأَبْيَاتِ عَنْ بِدَحٍ
فِيهِ وَسَلْ مَكَّةَ يَاقَاصِدَ ٱلْحَرَمِ)

الايجاز ضربان ايجاز قصر وايجاز حذف اما ايجاز القصر فهو تادية المعنى الكثير باللفظ القليل غير محذوفٍ منه وقد مرَّ في باب الاشارة اني لم ارَ من فرقٍ بينه وبين الاشارة وعليه فما اوردنا هناك من

الشواهد عليها يصلح هنا شاهدًا عليهِ . واما ايجاز الحذف فهو ان يحذف المتكلم جزءًا من الكلام لدلالة الباقي عليهِ كقولهِ

لانفرس الدهرَ آل مطرِّفٍ ان ظالمًا ابدًا وان مظلوما

وقوله كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعلُ

اي ان كنت ظالمًا وان كنت مظلومًا وكوعل ناطحٍ والايجاز قد استوفى البيانيون شرحه وهم احق ببحثهِ من البديعيين فعليك بمطالعة كتبهم . واما بيت الشيخ الحموي فيؤخذ من شرحه ان في قوله وسل اول الابيات ايجاز قصر وفي قوله وسل مكة ايجاز حذف اما ايجاز الحذف فظاهر اد المراد وسل اهل مكة واما ايجاز القصر فلم اهتدِ اليهِ وهو لم يزد في شرحهِ على قولهِ والايجاز البديع البليغ الغريب في قولي وسل اول الابيات فانهُ اشارة الى اول بيت وُضِع في العالم اه الا اذا كان مراده في ذلك ايجاز الحذف ايضًا على تقدير وسل صاحب او اصحاب اول الابيات والله اعلم

الاشتراك

(بِالْحِجْرِ سَادَ فَلَا نِدٌّ يُشَارِكُهُ حِجْرِ الْكِتَابِ الْمُبِيْنِ الْوَاضِحِ اللَّقَمِ)

الاشتراك ان ياتي الناظم بلفظٍ مشترك بين معنيين يتبادر فهم السامع الى غير المراد منهما فياتي بعد ذلك بما يصرفه الى المعنى المراد واستشهدوا على ذلك بقول كثير عزة

وانتِ التي حبَّبتِ كل قصيرةٍ اليَّ ولم تعلم بذاك القصائرُ

عنيت قصيرات الحجال ولم أُرد قصارَ الخطى شرُّ النساء البحاترُ

اراد بالقصيرة المقصورة في الخدر ولكن السامع يسبق ذهنه الى ان المراد بها قصيرة القامة فاتى في البيت الثاني بما كشف عن مراده. وكذا بيت الشيخ الحموي فانه ذكر فيه الحجر واراد بها سورة الحجر في القرآن ولكن ذهن السامع يسبق الى ان المراد به العقل الذي هو احد معنييه فاتى في الشطر الثاني بما كشف مراده وهو قوله حجر الكتاب ومعنى اللثم معظم الطرف ولهذا لو رأى الحموي هذه القافية في بيت الحلي او الموصلي لما صبر عليها

التصريع

(صَرِّحْ أَبَا ... عَشِي ... يَلْقَاهُ بِالفَجْرِ قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمِ)

التصريع في اللغة مصدر صرّع الباب اذا جعله ذا مصراعين اي شقين وفي الاصطلاح ان يأتي الناظم بمصراع آخر جزء من صدره مسقفا في آخر جزء من عجزه وزنا واعرابا وقافية وهو من الانواع التي ليس تحتها كبير امر ولا يستحسنه الذوق الا في مطلع القصيدة كقوله

هل غادر الشعراء من متردم — ام هل عرفت الدار بعد توهم

وقوله اصالة الرأي صانتني عن الخطل — وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ومما وقع فيه في وسط القصيدة قول امرئ القيس

افاطم مهلاً بعض هذا التدلل — وان كنت قد ازمعت صرمي فأجملي

وقوله ايضاً

الا ايها الليل الطويل الا انجل — بصبح وما الإصباح منك بامثل

وقول ابي تمام

للسيف بعدك حرقةٌ وعويلُ   وعليك للمجد التليـــدِ غليلُ

وهو في بيت الشيخ الحموي ظاهرٌ

أَلِاعْتِرَاضُ

(فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْنَا فِي مَحَبَّتِهِ   وَهْوَ الشَّفِيعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ يَعْتَصِمِ)

الاعتراض ان ياتي الناظم بين اجزاء كلامٍ بجملةٍ اجنبية لنكتةٍ تكسو الكلام رونقًا وبهاء وتزيد المعنى بلاغة كقولهِ

ان الثمانين وبُلِّغتَها   قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقوله   وتحتقر الدنيا احتقار مجربٍ   يرى كل ما فيها وحاشاكَ فانيا

وقوله   وخفوق قلبٍ لورايتِ لهيبهُ   ياجنتي لظننتِ فيهِ جهنما

فان لم يكن في ذلك نكتة زائدة لم يعد من المحسنات البديعية كقوله

ومن العجائبِ والعجائب جمةٌ   بينٌ غراب البين فيهِ ابيضُ

وقوله   سئمتُ تكاليف الحيوة ومن يعش   ثمانين حولاً لا اباالك يسأمِ

والاعتراض في بيت الشيخ الحموي قوله وهو الشفيع ولايخفى ما فيهِ من النكتة الزائدة ولكن لي فيهِ بحث لانهم شرطوا في الاعتراض ان يكون بين اجزاء كلامٍ واحدٍ او ما ينزل منزلتهُ كالكلامين المتصلين اي الذي ثانيهما بيان للاول او تاكيد لهُ او بدل منهُ وكلام الشيخ هنا تامٌ قبل وهو الشفيع وليس ما بعده من صلة ما قبله فتامل والله تعالى اعلم

أَلرُّجُوعُ

(وَمَا لَنَا مِنْ رُجُوعٍ عَنْ حِمَاهُ بَلَى   لَنَا رُجُوعٌ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ)

الرجوع نوع لهُ في الاذواق السليمة موقع حسنٌ وحقيقته ان يذكر الناظم

معنًى ثم ينقضه لنكتةٍ كاظهار التوله والتدله في قولهِ

قف بالديار التي لم يعفها القِدَمُ   بلى وغيَّرَها الارواح والدِيَمُ

فكانَّ هذا الشاعر يقول انهُ لما وقف على الديار وقد امست من بعد اهلها اطلالاً بالية ورسومًا عافية لم يثبت لها العفاء لشدة تجسمها في خياله على حالها يوم كانت آهلةً بالاحبة حتى دهش عن الحقيقة ثم لما سأَل منها غير مجيبٍ ووصل منها غير حبيب افاق من دهشته ورجع الى عقلهِ فرأَى حقيقة بلاها فقال بلى قد عفاها القدم وغيرتها الارواح والديم. وكالمفاخرة في الحماسة في قولهِ

اطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ   وحيدًا وما قولي كذا ومعي الصبرْ

فانظر كيف اثبت اولاً لنفسه الانفراد في محاربة الدهر ثم نقض ذلك بقولهِ وما قولي كذا ومعي الصبر ايذانًا بما عنده من وفرة الصبر وثبات القدم حتى كان ذلك جيش يحارب بهِ تلك الفرسان. وكابداء التذلل والاستعطاف في قولهِ

وما لي انتصارٌ ان غدا الدهر جائرًا   عليَّ بلى ان كان من عندك النصرْ

واما بيت الشيخ الحموي فليس فيهِ شيءٌ من الرجوع وانما هو من باب السلب والايجاب لانهُ نفى الرجوع عن حي الممدوح واثبت الرجوع عن الاوطان والحشم وهذا هو السلب والايجاب بعينــه وقد قال في الخزانة انهُ لا فرق بين الرجوع وبين السلب والايجاب وان كلاً من تعريفيهما لائقٌ بكل منهما والذي يظهر لي ان الفرق بينهما مثل الصبح ظاهر لان حقيقة السلب والايجاب نفي الشيء من وجهٍ واثباته من

وجهٍ آخر وحقيقة الرجوع اثبات شيءٍ ثم نفيه من ذلك الوجه عينه لنكتةٍ كما مرَّ فتامل وقد نظم الشيخ الحليّ نوع الرجوع على حقيقته المقررة فقال

اطلتها ضمن تقصيري فقام بها عذري وهيهات ان العذر لم يقم

ألتَّرْتِيبُ

(ترتُّبُ ٱلحيوانات ٱلسلامَ لَهُ
وَٱلنبتُ حتى جمادُ ٱلصخرِ في ٱلأكمِ)

الترتيب ان يقصد الناظم ذكر اوصافٍ شتى لموصوفٍ واحدٍ فياتي بها مرتبةً بحسب خلقتها الطبيعية او بحسب وقوعها فالاول كقوله

دعتهُ يقلُ نصيبُ مال ترابهِ شمس النهار تدلُّ الا مذالها

والثاني كقوله

تعيبٌ من امست فبانت فاصبحت نقضت امورًا فاستقلت تولّت

والترتيب في ذلك ظاهرٌ وبيت الشيخ الحموي من قبيل الاول لانه ذكر الحيوان ثم النبات ثم الجماد وهو تام السهولة الا ان فيه الترتيب من الاعلى الى الاسفل بخلاف بيت الشاهد الاول فان ترتيبه من الاسفل الى الاعلى

ألاِشْتِقَاقُ

(مُحمَّدٌ أحْمَدُ ٱلمحمودُ مبعثُهُ كُلٌّ مِنَ ٱلحمْدِ تبيينُ ٱشتقاقِهِمِ)

الاشتقاق - ويقال له جناس الاشتقاق - ضربان الاول ان ياتي الناظم بكلمتين متفقتين في الحروف الاصول وفي اصل المعنى وهذا ليس بجناس

على الصحيح اذ ليس فيهِ نكتة ولا مزية تنظمه في سلك الجناس البديعي ومنه قوله

الا لا يجهلن احدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقوله عصاني الصبر بعدك وهو طوعي وطاوع بعدك الدمع العصيُّ

والثاني — ويقال لهُ جناس التحليل — ان يشتق الناظم من اسم علمٍ لفظًا يوافق غرضه من مدحٍ او هجاء او نحو ذلك كقول الشاعر يهجو نفطويه النحوي

لو أُوحِيَ النحو الى نفطويه ما كان هذا العلم يُعزَى اليهِ

احرقه الله بنصف اسمهِ وصيَّر الباقي صياحًا عليهِ

وقول الآخر يهجو الاصمعي

والاصمعي اذا ما قيس منهُ بهِ فهو الاصمُّ وفي تركيبه عيُّ

والشيخ الحمزاوي قد اشتق في بيتهِ من اسم محمد احمد والمحمود بيانًا لوجوب حمدهِ

أَلاِتِّفَاقُ

(وَوَصْفُهُ لِاِبْنِهِ قَدْ جَاءَ نَسْبِيَةً فَإِنَّهُ حَسَنٌ حَسْبَ اتِّفَاقِهِمِ)

الاتفاق ان يذكر الناظم اسمًا مطابقًا لمادةٍ يستدل بهِ عليها كقول احدهم في حسام الدين لولو حين ظهر على الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم

وكم لؤلؤ في البحر مستحسنه والدر في البحر لا يحمى من العبث

وقول الحلي في بديعيتهِ

ومن غدا اسم أمهِ نعتًا لامتهِ فتلك آمنة من سائر النِقَمِ

فان اسم ام محمد آمنة وكذا الشيخ الحموي فانهُ استدل على حسن ابن محمد يكون اسمهِ حسنًا وهذا النوع عزيز نادرٌ لا لصعوبته وامتناعهِ بل لقلة الاتفاق بين الاسماء والوقائع والله اعلم

أَلْإِبْدَاعُ

(إِبْدَاعُ أَخْلَاقِهِ إِبْدَاعُ خَالِقِهِ فِي زُخْرُفِ ٱلشِّعْرَا فَٱسْجَعْ بِهَا وَهِمِ)

الابداع ان ياتي الناظم في بيتٍ واحدٍ بعدة ضروبٍ من البديع دون تكلُّفٍ كقوله

فضحتَ الحيا والبحر جودًا فقد بكى السحا من حيا مسكَ والنظمُ والبحرُ

فان هذا البيت قد جمع ضروبًا كثيرة منها الاستعارة والكناية والاغراق والجناس والتورية والتصدير ومن لطيف ذلك قول الحلي في بديعيتهِ

ذلّ النضارُ كما عزّ الطيرُ لهم بالفصل والبذل في عامٍ وفي كرمِ

فان هذا البيت الفاقد النظير في هذا الباب قد تضمن عدة انواعٍ منها الكناية والجناس اللفظي وايهام الطباق واللف والنشر والسهولة والانسجام وتمكين القافية . واما بيت شيخنا الحموي فهو دونه في الرقة واللطافة وقد جمع عدة انواعٍ منها التورية وجناس التصحيف والجناس المطلق والمماثلة وقد ياتي الابداع في جملةٍ واحدةٍ بل في كلمةٍ واحدةٍ

أَلْمُمَاثَلَةُ

(فَٱلْخَيْرُ مَاثَلَهُ وَٱلْعَفْوُ جَاوَرَهُ وَٱلْعَدْلُ جَانَسَهُ فِي ٱلْحُكْمِ وَٱلْحِكَمِ)

المماثلة ان ياتي الناظم بالفاظٍ متفقة في الوزن ولا يجب اتفاقها في التقفية كقوله

صفوحٌ صبورٌ كريمٌ رزينٌ   اذا ما العقول بدا طيشها

وقوله   من احمرٍ ساطعٍ اواخضرٍ نضرٍ   اواصفرٍ فاقعٍ اوابيضٍ يققِ

وقد مرَّ في المناسبة ان صاحب التلخيص لم يفرق بين المماثلة والمناسبة اللفظية ومثل لها بما مثل بهِ البديعيون للمناسبة وهو قوله

مها الوحش الّا ان هاتا اوانسٌ   قنا الخطِ الّا ان تلك ذوابلُ

قال في الخزانة والفرق بين المماثلة والمناسبة توالى الكلمات المتزنة وتفرقها في المناسبة اه والمماثلة ظاهرة في بيت الحموي

حَصْرُ ٱلْجُزْئِيِّ وَإِلْحَاقُهُ بِٱلْكُلِّيِّ

(أَلْحِقْ بِحَصْرِ جَمِيعَ ٱلْأَنْبِيَاءِ بِهِ   فَٱلْجُزْءُ يُلْحَقُ بِٱلْكُلِّيِّ لِلْعِظَمِ)

حصر الجزئي والحاقه بالكلي ان يقصد الناظم تعظيم فردٍ او بعضٍ فيجعله نفس الجنس او الكل كقوله

فسُرتُ آمالي بملكٍ هو الورى   ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هو الدهر

فانظر كيف جعل هذا الشاعر الجزء كلاً تعظيمًا لهُ اذ الملك جزءٌ من الورى والدار جزءٌ من الدنيا واليوم جزءٌ من الدهر ومثله قوله

يا سائلي عنهُ لما جئت امدحه   هذا هو الرجل العاري من العارِ

لقيته فرايتُ الناسَ في رجلٍ   والدهر في ساعةٍ والارض في دار

وشاهده في بيت الشيخ الحموي في الشطر الاول فانهُ جعل الممدوح كليًا في النبوة وجعل سائر الانبياء جزئيات لهُ تلحق بهِ كما يلحق الجزئي بالكلي او الجزء بالكل والله اعلم . وبيت الشيخ الحلي هنا

تخصٌ هو العالَمُ الكليُّ في شرفٍ   ونفسُهُ الجوهرُ القدسيُّ في عِظَمِ

وهو ارق من بيت الحموي واكثر سهولةً وانسجامًا وان كان الحموي

ند اطنب في الجراية في مدح بيته وقال عنه وما اعلم انه في هذا الباب نظيرا

الترائد

(وبيض وبيض ... من ترائب ... وأسلها ... ايك ...)

الفرائد في الاصطلاح فريدة ... الجوهر النفيسة التي ... بين حرتي العقد وفي الاصطلاح ... من الفصاحة ... في بيته ... فصيحة ... الكلام ... غيرها ... ها ... على دلالة قول عنترة

يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فان ... الفرائد في بيت الشيخ الحموي ... ترائب ... الروض ... لذلك والله اعلم

الترشيح

(يس زادت على لمان ... وان ...)

الترشيح ان يرد في بيت الناظم لفظة عارية عن المحاسن البديعية فيقرنها بلفظة اخرى توهلها لضرب من تلك المحاسن كقول المتنبي

وخفوق قلب لو رايت لهيبه ... يا جنتي لظننت فيه جهنما

وقوله ... اذا عاشت عمود سيوفهم ... عنها فآجال العباد حضور

فان قوله ياجنتي وعاشت رشحنا جهنم وحضور للمطابقة ولو جاء موضعها غيرها لم يكن هناك مطابقة ومثل ذلك قول التهامي

وإذا رجوتَ المستحيلَ فانما   تبني الرجاء على شفير هارِ

فان في الرجاء تورية برجاء البئر حصلت بذكر الشفير ولولاه لخلص للرجاء لمعنى الترجي . والفرق بين الترشيح والتورية المرشحة ان الترشيح اعمُّ منها بدليل وروده للمطابقة في بيتي المتنبي . وقد يرد لغيرها ايضًا من الانواع واما بيت الشيخ الحموي فان ذكر لقمان فيه رشَّح يس للتورية باسم محمد لان يس من اسمائه على قولٍ وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية بسورة لقمان والله اعلم

ألْعُنْوانُ

(بِهِ ٱلْعَصَا أَثْمَرَتْ عِزًّا لِصَاحِبِهَا   مُوسَى وَكَمْ قَدْ مَحَتْ عُنْوَانَ سِحْرِهِمِ)

العنوان في اللغة سمة الكتاب وديباجته وكل ما يدلك على باطن امرٍ فهو عنوانه وفي الاصطلاح ان يكون الناظم آخذًا في غرضٍ من اغراض الشعر فياتي لقصد تكميلهِ وتقريرهِ بالفاظٍ تكون عنوانًا لقصةٍ سالفة كقوله

ادرجهمُ في اهاب العير جثّة   فبئس ما قدّمت ايديكمُ لعدِ

ان تقتلوا اس ابي بكرٍ فقد قتلت   حجرًا بدارة ملحوبٍ بنو اسدِ

ويوم قلتم لعمرٍو وهو يقتلكم   قتل الكلاب لقد ابرحتَ من ولدِ

فانظر كيف اتى في عرض التوبيخ بعنوان يشير الى قصة بني اسد يوم قتلوا حجرًا بدارة ملحوب فعاد ذلك عليهم بالويل والثبور ومثل ذلك قول الاخر

نبئت ان قولاً كان زورًا   اتى النعمان قبلك عن زيادِ

فأَرّبين حي بني جلاحٍ   لدى حربٍ وبين بني مصادِ

وعزمي والفلا وثبات جاشي | خفيٌّ في خفيٍ في خفيِّ
وعهدي والجواد وخدن اسي | وفيٌّ في وفيٍ في وفيِّ

وقول الاخر

كان الكاس في يدها وفيها | عقيقٌ في عقيقٍ في عقيق

وهو في بيت الشيخ الحموي ظاهرٌ

ألتَّنْكِيتُ

(وَآلُهُ ٱلْبَحْرُ آلٌ إِنْ يقِسْ بِندَى
كَفُوْفِهِمْ فَافْهَمُوا تنكِيْتَ مَدْحِهِمِ)

التنكيت ان يخص الناظم بالذكر شيئاً دون غيره مما يصلح مكانه لنكتةٍ فيهِ ترجحه لولاها كان ايثاره خطأً كقول الخنساء في اخيها صخر

يذكرني طلوعُ الشمس صخرًا | واذكره لكل غروب شمسِ

فانها اختصت طلوع الشمس وغروبها بالذكر مع انها تذكره في كل وقتٍ لانها ارادت ان هذين الوقتين يذكِّرانها اياه بالخصوص لاغارتهِ على العدى في الاول وهو وقت الغارات وإيقادهِ نار القرى في الثاني ولا يخفى ما في ذلك من نكتة المبالغة في وصفهِ بالشجاعة والكرم ومثل ذلك ايضاً قول المتنبي.

لو مرَّ يركض في سطور كتابةٍ | احصى بحافر مهرهِ ميماتها

فانه اختص الميمات بالذكر لكثرتها في الكلام ودقتها وما كان كذلك فاحصاؤه اصعب من احصاء غيرهِ وقيل بل اختصها لكون الميم على شكل اثر الحافر وردَّ بانهُ لو كان هذا مراده لقال عيناتها لان العين

اشبه بالحافر وشاهد التنكيت في بيت الحموي قوله بندى فانهُ كان يصلح ان يقال بانهار او بجداول ولكنه اختص الندى بالذكر زيادة في المبالغة اذ الندَى اقل من الانهار والجداول فكانه قال اذا كان البحر عند ندى كفوف آلهِ سرابًا فما ظنك بهِ عند انهار كفوفهم مثلاً واما قوله فافهموا تنكيت مدحهم فقد هدَّ بركاكتهِ ركن هذا البيت

أَلْإِرْدَافُ

(وَفِي ٱلْوَغَى رَادَفُوا لُسْنَ ٱلْقَنَا سَكَنًا
مِنَ ٱلْعِدَى فِي مَحَلِّ ٱلنُّطْقِ بِٱلْكَلِمِ)

الارداف ان يقصد الناظم معنًى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع لهُ ولا بلازمهِ بل بلفظٍ يرادفه واستشهدوا عليهِ بقول البحتري

فاوجرتهُ اخرى فاضللتُ نصلها بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقدُ

اي بالقلب والفرق بين الارداف والكناية ظاهرٌ فان الكناية عبارة عن اخذ اللازم موضع الملزوم والارداف عبارة عن اخذ المرادف موضع مرادفهِ وقد خرجت الكناية بقولنا في التعريف ولا بلازمهِ وشاهد الارداف في بيت الحموي قوله محل النطق بالكلم فانه اراد بهِ الافواه

أَلْإِيدَاعُ

(وَأَوْدَعُوا لِلثَّرَى أَجْسَامَهُمْ فَشَكَتْ
شَكْوَى ٱلْجَرِيحِ إِلَى ٱلْعِقْبَانِ وَٱلرَّخَمِ)

الايدَاع ـ وبعضهم يسميهِ التضمين ـ ان يضمِّن الناظم شعره شيئًا من

شعر غيره بعد ان يوطّئ له توطئة حسنة تلحمه بكلامه وتجعله كانه له
واحسنه ما اكتسب بالنقل تورية او تشبيهًا ما يزيد الناظم استحقاقًا له
وهو اربعة اقسام الاول ايداع شطر وهو الاكثر كقوله

وان يكن عله فرعًا لعلمهم ... فان في الخمر معنًى ليس في العنبِ
وان اتت قبله كتبٌ مؤلّفةٌ ... فالسيف اصدق انباء من الكتبِ

فان عجز الاول للمتنبي من قوله في رثاء اخت سيف الدولة

وان تكن تغلبُ الغلباء عنصرها ... فان في الخمر معنًى ليس في العنبِ

وعجز الثاني لابي تمام من مطلع قصيدته المشهورة وهو

السيف اصدق انباء من الكتبِ ... في حدهِ الحد بين الجدِ واللَعِبِ

والثاني ايداع بعض شطر ومنهم من يسميه رفوًا كقوله

لقد ترك الضحاك في الناس ضحكةً ... وابكى الذي قد قال قدمًا قفا نبكِ

والثالث ايداع بيت ومنهم من يسميه مع الرابع استعانةً كقوله

اتاني عليٌّ اليانسائي منشدًا ... فيالك من شعرٍ ثقيلٍ مطوّلِ
مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معًا ... كجلمود صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ

والرابع ايداع بيتين ومن الطف الامثلة على ذلك ما ذكر في الخزانة
من ان الحيص بيص قتل جرو كلبٍ وهو سكران فاخذ بعض الشعراء
كلبةً وعلق في رقبتها قصة واطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى ... بخزيةٍ البسته العار في البلدِ
ابدى شجاعته بالليل مجترئًا ... على جُرَيٍّ ضعيف البطش والجلدِ
فانشدت امه من بعد ما احتسبت ... دم الابيلق عند الواحدِ الاحدِ
اقول للنفس تأساء وتعزيةً ... احدى يديَّ اصابتني ولم تردِ
كلاهما خلَفٌ من بعد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

فان البيتين الاخرين لامراةٍ من العرب قتل اخوها ابنها فقالت ذلك تسليةً. ومنهم من زاد قسماً خامساً وهو ايداع ثاني بيتٍ كقول بعضهم

عذلتك بابن السكّري والذي ارى ... مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

واعلم ان ايمة الادب قد نبهوا هنا الى انهُ اذا كان الايداع من شعر مشهور عند الادباء جاز مطلقاً واذا كان من شعر غير مشهور فلا بد من التنبيه عليهِ كقول الحريري

على اني سانشد عند بيعي ... اضاعوني وايَّ فتًى اضاعوا

فان هذا العجز صدرٌ لبيتٍ تمامه (ليوم كريهةٍ وسداد ثغرٍ) وقد نبه الحريري عليهِ بقوله سانشد ومثله قول الاخر

اباك يعني من غدا منناشداً ... بيتاً روَوهُ على مرور الاعصُر

واذا تباع كريمةٌ او تشترَى ... فسواك بائعها وانت المشترِي

والاصل في الايداع ان يحفظ فيهِ كلام الغير بلفظهِ ومعناه وقد يغتفر التغيير اليسير اذا كان لازماً لالتحام الكلامين ومنه قوله

اقول لمعشرٍ غلطوا وغضوا ... من الشيخ الرشيد وانكروهُ

هو ابن جلا وطلّاع الثنايا ... متى يضع العمامة تعرفوهُ

والشيخ الحموي قد اودع بيته المقدم عجز بيت المتنبي وهو

ولا تشكُ الى خلقٍ فتشمتَهُ ... شكوى الجريح الى العقبان والرَخَمِ

وقد جاء الايداع فيهِ على سننه المقرر من المناسبة والالتحام

اَلتَّوهِيمُ

(وَالْبَعضُ مَاتُوا مِنَ التَّوْهِيمِ وَاطَّرحُوا

وَالسُّمرُ قَدْ قَبَّلتهمْ عِنْدَ مَوْتِهِمِ)

وهذا هو الفرق بينه وبين الالغاز فان السامع في الالغاز يعلم من اول الامر ان في الكلام اسمًا مضمرًا بما فيهِ من السؤال عنهُ او الاشارة الظاهرة اليهِ ومن امثلة التعمية قول بعضهم في سليمان

من بني الاتراك ظبيٌ اهيفٌ   قدُّهُ لاح كغصنٍ مائدِ
سلبَ الناس بخالين وكم   عاشقٍ ماتَ بخالٍ واحدِ

اشار بالخالين الى زيادة نقطة على باء سلب فتصير ياء وبالخال الواحد الى حذف نقطة من تاء مات فتصير نونًا وهكذا يخرج من اللفظين سليمان وانما عبر عن النقط بالخال لما بينهما من المشابهة . واما الثاني فهو ان ياتي الناظم بكلامٍ مركب يماثله في المعنى لفظٌ بسيطٌ مستقلٌ بمعنًى آخر غير المعنى المفهوم من المركب كقول الحريري محاجيًا في الأَخطار

يامن لهُ فطنة تجلت   ورتبة في الذكاء جلّت
بيّن فما زلتَ ذا بيانٍ   ما مثل قولي الشفيق افلت

وقوله ايضًا محاجيًا في الغاشية

يا ايها ذا الالمعيُّ   أخو الذكاء المنجلي
ما مثل أَهمَلَ حليةً   بين هُديتَ وعجِّلِ

سَلَامَةُ ٱلِٱخْتِرَاعِ

(وَقَدُّهُ بِٱخْتِرَاعِ سَالِمٍ أَلِفٌ   يَبْدُو بِتَرْوِيسِهِ فِي رَأْسِ كُلِّ كَمِيْ)

سلامة الاختراع نوعٌ كبير يدل على البراعة وفرط الذكاء وحقيقته ان يبتكر الناظم معنًى لم يُسبق اليهِ وقد استشهدوا عليهِ بقول عنترة في معلقتهِ يصف الذباب

هزجًا يحك ذراعهُ بذراعهِ   قدحَ المكبِّ على الزناد الاجذمِ

وقول المتنبيء

خُلِقتُ الوفَا لو رُدِدتُ الى الصبا لفارقتُ شيبي موجَع القلبِ باكيا

قيل ومن معانيهِ المخترعة بل من زواياه المفتتحة قوله

رماني الدهرُ بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرت اذا اصابتني سهامٌ تكسَّرت النصالُ على النصالِ

وقوله يصف خيل سيف الدولة في الحرب

ان خُلِيتْ رُبِطت باداب الوغى فدعاؤها يغني عن الارسانِ
في جحفلٍ ستر العيونَ غبارُهُ فكانما يبصرن بالآذانِ

والشيخ الحموي قد شبَّه في بيتهِ قدَّ الرمح باديًا من راس الشجاع بالالف وهو من التشابيهِ المخترعة والله اعلم

اَلتَّفْسِيرُ

(وَصَحْبُهُ بِالْوُجُوهِ الْبِيضِ يَوْمَ وَغًى
كَمْ فَسَّرُوا مِنْ بُدُورٍ فِي دُجَى الظُّلَمِ)

التفسير ان ياتي الناظم بمجملٍ لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه ثم بما يفسره ولو في البيت الاخر كقولهِ

لمختلفي الحاجاتِ جمعٌ ببابهِ فهذا له فنٌّ وهذا له فنُّ
فللخامل العليا وللمعدم الغنى وللمذنب العفبي وللخائف الامنُ

وقوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحق والقمرُ

ومن احسن شواهده قوله

لئن كنت محتاجًا الى الحلم انني الى الجهل في بعض الاحايين احوجُ
ولي فرس للحلم بالحلم ملجمٌ ولي فرس للجهل بالجهل مسرجُ
فمن شاء تقويمي فاني مقوَّمٌ ومن شاء تعويجي فاني معوَّجُ

فانظر كيف فسر في البيت الثاني ما اجمله في الاول ببيان علة احتياجهِ ثم زاد ذلك تفسيرًا في البيت الثالث لان في الثاني ايضًا طرفًا من الاجمال . وقد يكون التفسير لامرٍ مقدَّرٍ كقول المتنبي مفسرًا لحال المحب عند الوداع

وجلا الوداع من الحبيب محاسنًا   حَسَنُ العزاء وقد جُلِين قبيحُ
فيدٌ مودعة وطرفٌ شاخصٌ   وحشًى يذوب ومدمعٌ مسفوحُ

واما بيت الشيخ الحموي فقد جاء فيهِ العجز مفسرًا للصدر على الترتيب وهذا النوع لايكاد ينفصل عن اللف والنشر

حُسْنُ ٱلإِتِّبَاعِ

(ذِكْرَاهُ يُطْرِبُهُمْ وَٱلسَّيْفُ يَنْهَلُ مِنْ
أَجْسَامِهِمْ لَمْ يَشِنْ حُسْنَ ٱتِّبَاعِهِمِ)

حسن الاتباع ان يعمد الناظم الى معنى سبقه اليهِ غيره فياخذه ويتصرف فيهِ بزيادة يستحقه بها من اختصار لفظٍ او قصر وزن او رشاقة سبك او تتميم نقصٍ او نحو ذلك كقول ابي نواس

وليس على الله بمستنكرٍ   ان يجمع العالَمَ في واحدِ

فانهُ اتبع فيهِ جريرًا حيث قال

اذا غضبت عليَّ بنو تميم   حسبتُ الناس كلهم غضابا

ولكنه زاد عليهِ ان نقله من الفخر الى المدح ومن الظن الى اليقين مع قصر الوزن ومثله قول سلم الخاسر

من راقب الناس مات غمًّا   وفاز باللذة الجسورُ

فانهُ اتبع فيهِ قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته　　وفاز بالطيبات الفاتك اللهجُ

ولا يخفى ما فيهِ من الزيادة عليهِ ومن احسن ما وقع من ذلك قول ابي العلاء المعري

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم　　والعذب يهجرُ للافراط في الخَصَرِ

فانهُ اتبع فيهِ قول البحتري

اخجلتني بندى يديك فسوَّدت　　ما بيننا تلك اليدُ البيضاء

صلةٌ غدت في الناس وهي قطيعةٌ　　عجبًا وبرٌّ راح وهو جفاء

ولكنه استوعب البيتين في صدر بيتهِ واخرج العجز مخرج المثل السائر. واما بيت شيخنا الحموي فقد قال انهُ اتبع فيهِ قول الشيخ عمر بن الفارض

فلي ذكرها يحلو على كل صيغةٍ　　ولو مزجوهُ عُذَّلي بخصام

والزيادة حاصلة بقوله لم يشن الخ وقوله والسيف ينهل الخ لان التكليم بالسنة السيوف فوق المخاصمة بالالسن وفي قوله يطربهم زيادة على يحلو في بيت الفارض والله اعلم

اَلْمُوَارَدَةُ

(كَأَنَّمَا ٱلْهَامُ أَحْدَاقٌ مُسَهَّدَةٌ　　وَنَوْمُهَا وَارَدَتْهُ فِيْ سُيُوفِهِمِ)

الموارَدة ان يتفق شاعران على معنًى فيورداه بلفظٍ واحدٍ من غير اخذٍ ولا سماع كما اتفق لامرء القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما فان الاول قال

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيهم　　يقولون لا تهلك اسًى وتجمَّلِ

والثاني قال

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم　　يقولون لا تهلك اسًى وتجلّدِ

وكما وقع لاوس بن حجر وكعب بن زهير فان الاول قال

حرف اخوها ابوها من مهجنةٍ　　وعمها خالها قوداء ميسيرُ

والثاني قال

حرف اخوها ابوها من مهجنةٍ　　وعمها خالها قوداء شمليلُ

ومثل ذلك ما اتفق عليهِ ابن الاعرابي والحطيئة فانهما قالا

مفيدٌ ومتلافٌ اذا ما اتيته　　تهلّلَ واهتزّ اهتزاز المهندِ

ومن كان عالمًا بقدر هولاء الفحول من الشعراء ايقن انهم لا يتنازلون الى ان يسرق احدهم بيت الآخر فان لهم عن ذلك مندوحة بما اولاهم الطبع من علو الرتبة وسجية النظم وغزارة المادة فضلاً عمّا يؤيد ذلك من الروايات الصادقة . واما الشيخ الحموي فقد ذكر انهُ نظم يومًا قصيدة قال فيها

كانما الهام احداقٌ اضرّ بها　　سهدٌ واسيافه في الحرب طيب كرى

ولم يكن يعلم ان المتنبيء قال قبله

كان الهام في الهيجا عيونٌ　　وقد طُبعت سيوفك في رقادِ

فلمّا ذُكِرَ لهُ ذلك اسقط البيت من القصيدة خوفًا من قدح حاسدٍ الا انهُ لما انتهى في بديعيته الى نوع الموارده الجأت الضرورة الى نظمهِ في سلك انواعها فقال بيته المقدّم

ٱلْإِيْضَاحُ

(هٰذَا وَتَزْدَادُ إِيْضَاحًا مَخَافَتُهُمْ　　فِيْ كُلِّ مُعْتَرَكٍ مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمِ)

الايضاح ان ياتي الناظم بكلامٍ ملتبسٍ ثم بما يدفع ذلك اللبس واستشهدوا عليهِ بقولهِ

يذكرنيك الخيرُ والشرُّ كله ... وقبل الخنى والحلمُ والعلمُ والجهلُ
فالقاك عن مكروهها متنزها ... والقاك في محبوبها ولك الفضلُ

فان في البيت الاول لبسًا بكونهِ يقتضي المدح والهجاء ولكن البيت الثاني دفع ذلك اللبس فخلص المعنى للمدح. وكذا الشيخ الحموي فان صدر بيته ملتبس بالهجاء ولذا جاء في الشطر الثاني بما اوضح مراده وذهب بذلك الاشكال وبيت الحليّ هنا اعمر جانبًا واعلى طبقةً وهو

قادوا الشوازب كالاجبال حاملةً ... امثالها ثبتةً في كل مصطدَمِ

والفرق بين هذا النوع وبين التفسير ان التفسير تفصيل لاجمال وهذا تبيين لاشكال والله اعلم

أَلتَّفْرِيعُ

(مَا ٱلْعُوْدُ إِنْ فَاحَ نَشْرًا أَوْشَدَا طَرَبًا
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْ تَفْرِيعِ وَصْفِهِمِ).

التفريع ان ياتي الناظم في صدر كلامهِ باسمٍ منفي بما ثم باحسن ما يناسب المقام من اوصافهِ ثم يخبر عنه باسم تفضيلٍ يليهِ المقصود بالمدح او الذم مثلاً مجرورًا بمن التفضيلية وذلك لتحصل بينهما المساواة ومن امثلة ذلك قوله

وما روضة غنّاء باكرها الحيا ... تبسّمُ عن ثغري اقاحٍ وعندمِ
تمد بها ريح الصبا خطواتها ... وترفل في ثوبٍ من النَوْرِ معلمِ
بابهج وجهًا منهُ عند هباتهِ ... اذا يممت يمناه آمالُ معدمِ

وهذا الذي ذكرنا من حقيقة التفريع هو المشهور والذي مشى عليهِ اكثر
ايمة البديع وقد ذكر صاحب التلخيص التفريع وفسرهُ بقولهِ هو ان يثبت
لمتعلق امر حكم بعد اثباتهِ لمتعلقٍ لهُ آخر كقوله

احلامكم لسقام الجهل شافية   كما دماؤكم تُشفي من الكلبِ

انتهى كلامه ومن ذلك ايضاً قوله

فاضت يداه بالنضار كما   فاضت ظُباه يوم الوغى بدم

وذكر الحموي في الخزانة ان الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع اخترع
للتفريع قسماً ثالثاً ولم يبينه ولعله ما رايته في كتابٍ لبعض الادباء وهو
ان يبدأ الناظم في بيتهِ باسم يكرره مضافاً كل مرةٍ الى ما يفيد وصفاً
جديداً كقوله

انا ابن اللقاء انا ابن السخاء   انا ابن الضراب انا ابن الطعان
طويل الجنانِ طويل العنان   طويل القناة طويل اللسانِ

والتفريع ظاهرٌ في بيت الشيخ الحموي وهو من الضرب الاول وهذا
البيت آهِلٌ بالمحاسن البديعية وغايةٌ في الرقة والانسجام

حُسْنُ ٱلنَّسَقِ

(مَنْ ذَا يُنَاسِقُهُمْ مَنْ ذَا يُطَابِقُهُمْ   مَنْ ذَا يُسَابِقُهُمْ فِيْ حَلْبَةِ ٱلْكَرَمِ)

حسن النسق ان ياتي الناظم بابيات متتالية متلاحمة تلاحماً حسناً اذا
افرد منها البيت قام بنفسه كقول زهير بن ابي سلمى في معلقتهِ

ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ   يضرَّس بانيابٍ ويوطأْ بمنسِمِ
ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ   يفِرهُ ومن لا يتقِ الشتم يشتمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضلهِ   على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويُذممِ

وقول ابي نواس .

وإذا جلست الى المدام وشربها   فاجعل حديثك كله في الكاسِ
وإذا نزعت عن الغواية فليكن   لله ذاك النزعُ لا للناسِ

والشيخ الحموي لما كان متعينًا عليهِ ان يجعل بيته شاهدًا مستقلاً على النوع قسم بيته ثلاثة اقسام ٍ اتى بها متسقة متلاحمة احسن تلاحم واذا افرد كل منها قام بنفسهِ واستقل معناه بلفظهِ كما ترى وهو بيت كامل في الحسن والابداع

اَلتَّعْدِيدُ

(تَعْدِيدُ فَضْلِهِم ِ يُبْدِيْ لِسَابِعِهِ   عِلْمًا وَذَوْقًا وَشَوْقًا عِنْدَ ذِكْرِهِم ِ)

التعديد ـ ويقال لهُ سياقة الاعداد ايضًا ـ ان ياتي الناظم بكلمات منفردة يوقعها على سياقٍ واحدٍ واحسن ما يكون اذا تحلّت بازدواج او مطابقةٍ او جناس ٍ او نحو ذلك ومن امثلتهِ قول المتنبي

ان تلقهُ لا تلقَ الا جحفلاً   او قسطلاً او طاعنًا او ضاربا
او هاربًا او راغبًا او طالبًا   او راهبًا او هالكًا او نادبا

وقوله الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقول الحلي

واذا سالت السيف قال فرنده   لا علمَ لي الا الذي علمتني
هذه يمينك والوغى ومضاربي   ودم الفوارس والظبا بي فاسئلني

والتعديد ظاهر في الشطر الثاني من بيت الشيخ الحموي

اَلتَّعْلِيلُ

(نَعَمْ وَقَدْ طَابَ تَعْلِيلُ ٱلنَّسِيمِ لَنَا   لِأَنَّهُ مَرَّ فِيْ آثَارِ تُرْبِهِم ِ)

قد فسر التعليل في الخزانة فقال هو ان يريد المتكلم ذكر حكمٍ واقعٍ او متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعهِ واستشهد عليهِ بقول البحتري

ولو لم تكن ساخطًا لم أكن اذمُّ الزمان واشكو الخطوبا

ولكن هذا الذي ذكره في الخزانة لا ارى فيهِ وجهًا من الابداع يستحق بهِ ان يندرج في انواع البديع فالاحسن ما ذكره في التلخيص من ان التعليل — ويسميهِ حسن التعليل — قائمٌ بان يدَّعي الناظم لحكمٍ علةً غير علتهِ الحقيقية مبالغةً في مدحٍ او هجاءٍ او نسيبٍ او نحو ذلك كقوله

ما بهِ قتل اعاديهِ ولكن يتَّقي إخلافَ ما ترجو الذئاب

فان هذا الشاعر جعل علة قتل المَمْدوح اعداءه كرمه ورغبته في صدق رجاء الراجين مع ان علتهُ الحقيقية دفع مضرتهم ومثله قول المتنبيء

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عملَ السيوف عواملُ

وقد جاء بيت الشيخ الحموي من هذا القبيل ايضًا فان علة طيب النسيم عادةً مروره على بعض الرياحين وهو قد جعلها هنا مروره في اثار ترب الممدوحين وهو بيت كالنسيم رقةً ولطافةً

أَلتَّعَطُّفُ

(تَعَطُّفَ ٱلْخَيْرِ كَمْ أَبْدَوْا لِمُذْنِبِهِمْ وَٱلْخَيْرُ مَا زَالَ فِي أَبْوَابِ صَفْحِهِمِ)

التعطف نوعٌ سافلٌ لا يستحق ان ينزل في منازل الانواع البديعية وحقيقته ان ياتي الناظم بلفظةٍ في صدر بيتهِ ثم يعيدها في عجزه ولا بد من ان يكون ذكرها في غير القافية ليفرق عن التصدير كما مرَّ ومن شواهده قوله

وهل يتجافى عنيَّ الموت ساعةً　　اذا ما تجافى عني الفسر والاسى

وقوله　فساق اليَّ العرف غير مكدرٍ　　وسقتُ اليهِ المدح غير مذممِ

وقوله　ومن ذاق طعم الحب يومًا فانهُ　　عليمٌ بان الحب مرٌّ مطاعمه

وهو ظاهر في بيت الشيخ الحموي فانه ذكر الخير في الصدر ثم اعادها في العجز كما ترى واما في بيت الحليّ وهو على ما في الخزانة

وصحبه من لم نحز اذا افتخروا　　ماان يقصر عن غايات فضلهمِ

فغير ظاهرٍ

أَلِاسْتِتْبَاعُ

(يَحْمُوْنَ مُسْتَتْبِعِيْنَ ٱلْعَفْوَ إِنْ ظَفِرُوا
وَيَحْفَظُوْنَ وَفَاهُمْ حِفْظَ دِيْنِهِمِ)

الاستتباع ان يريد الناظم وصف امرٍ بامرٍ فيذكره على وجهٍ يستتبع وصفًا آخر من جنسهِ مدحًا او ذمًا او نحو ذلك كقول المتنبي

نهبت من الاعمار ما لو حويته　　لهنّئتِ الدنيا بانك خالد

وقول الآخر

سمحُ البديهة ليس يمسك لفظَهُ　　فكانما الفاظه من ماله

فانظر كيف ان الاول وصف ممدوحه بالشجاعة واستتبعه بوصفه بكونهِ سببًا لصلاح الدنيا اذ لا يهنأُ شيءٌ الا بما يفيده ويصلح امره والثاني وصف ممدوحه بذلاقة اللسان واستتبع ذلك بوصفه بالكرم على وجهٍ لطيفٍ ومن ذلك في الذم قول بعضهم في قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال العيد

اترى القاضيَّ اعمى　　ام تراه يتعامى

سرق العيدَ كأنّ الـــعيدَ اموالُ اليتامى

والشيخ الحموي قد وصف ممدوحيهِ بالوفاء على وجهٍ استتبع وصفهم بالتقى والله اعلم

اَلطَّاعَةُ وَٱلْعِصْيَانُ

(طَاعَاتُهُمْ تَقْهَرُ ٱلْعِصْيَانَ قَدْرُهُمُ لَهُ ٱلْعُلُوُّ فَجَانِسْهُ بِمَدْحِهِمِ)

الطاعة والعصيان ان يعمد الناظم الى نوعٍ من البديع فيعصيه الوزن فيهِ فيعدل عنه الى نوعٍ آخر يطيعه الوزن فيهِ . وهذا النوع استخرجه ابو العلاء المعري من قول المتنبيء

يردُّ يدًا عن ثوبها وهو قادرٌ وبعصي الهوى في طيفها وهو راقدُ

فانه فهم من ذلك ان ابا الطيب اراد ان يقول يرد يدًا عن ثوبها وهو مستيقظ قصدًا للمطابقة مع راقد فعصاه الوزن فعدل الى قادر فحصل لهُ المعنى المراد لاستلزام القدرة هنا اليقظة وحصل لهُ الجناس المقلوب وردَّ بانتفاء العصيان في هذا البيت لامكان ان يقال ساهرٌ بدل مستيقظ وأَن قصــد المتنبيء ان يكــون في بيته طباق وجناس وهما حاصلان لهُ في قادر ولو قال مستيقظ لما حصل لهُ الاَّ الطباق فقط واما بيت الشيخ الحموي فقد جاء الطاعة والعصيان فيهِ على السنن المقرر لانهُ اراد ان يجانس فيهِ بين العلو والغلو فعصاه الوزن فعدل الى الاشارة اليهِ بردفه وهو قوله فجانسه فحصل لهُ جناس الاشارة

اَلْمَدْحُ فِي مَعَرِضِ الذَّمِّ

(فِي مَعَرِضِ الذَّمِّ إِنْ رُمْتَ الْمَدِيحَ فَقُلْ
لَاعَيْبَ فِيهِمْ سِوَى إِكْرَامِ وَفْدِهِمِ)

المدح في معرض الذم ـ ويقال لهُ تاكيد المدح بما يشبه الذم ـ ضربان الاول ان يقصد الناظم مدح شيء فينفي عنهُ صفة ذم ثم يستثني منها صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائب

وقوله ولا عيب في معروفهم غير انهُ ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

والثاني ان يصف الناظم ممدوحه بصفة مدح ثم يستثني منها صفة مدح اخرى كقوله

فتى كملت أخلاقهُ غير انهُ ... جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا

فتى تمَّ فيهِ ما يسرُّ صديقهُ ... على ان فيهِ ما يسوءُ الاعاديا

وقوله وبعدل في شرق البلاد وغربها ... على انهُ للسيف والمال ظالمُ

والضرب الاول ابلغ لان فيهِ تاكيدًا للمدح من وجهين اولاً من وجه انهُ كالدعوى ببينة لان ادعاء العيب في صفة المدح محالٌ فيكون العيب ايضًا محالاً وثانيًا من وجه ان الاصل في الاستثناء مطلقًا ان يكون متصلاً ولكنه لما لم يجد الناظم عيبًا يستثنيهِ عدل الى المنقطع باستثناء صفة المدح بخلاف الضرب الثاني فان فيهِ تاكيدًا للمدح من وجهٍ واحدٍ فقط لان الاصل فيهِ ان يكون الاستثناء منقطعًا لكنه لما لم يجد الناظم صفة ذم يستثنيها عدل الى استثناء صفة مدح اخرى والضرب الاول

هو الذي مشى عليهِ اصحاب البديعيات ومنه بيت شيخنا الحموي وهو ظاهرٌ فيهِ

أَلْبَسْطُ

(هُمْ مَعْشَرٌ بَسَطُوا جُودًا سَقَاهُ حَيَا
فَأَخْضَرُ ٱلْعَيْشِ فِي أَكْنَافِ أَرْضِهِمِ)

البسط عكس الايجاز وهو ان يدل الناظم على المعنى القليل باللفظ الكثير لزيادة الفائدة كقوله

اخجلتني بندى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
صلةٌ غدت في الناس وهي قطيعةٌ عجبًا وبرٌّ راح وهو جفاء

فان حاصل هذا الكلام الوصف بالكرم وكثرة العطاء الا ان الشاعر بسط اللفظ فيهِ بما لايخفى من زيادة الفائدة ومحاسن الكلام ومثله الشيخ الحموي فان الحاصل من بيتهِ المقدم وصف الصحابة بالكرم فاتى لذلك بهذا البيت البسيط قصدًا الى زيادة الفائدة كما ترى

أَلاِتِّسَاعُ

(نُورُ ٱلْقَبَائِلِ ذُو ٱلنُّورَيْنِ ثَالِثُهُمْ وَلِلْمَعَالِي ٱتِّسَاعٌ فِي عَلِيِّهِمِ)

الاتساع ان ياتي الناظم بكلامٍ يتسع تاويلهُ على قدر ما تحتمله الالفاظ من المعاني وقد استشهدوا عليهِ بقول امرءِ القيس في معلقتهِ

اذا قامتا تضوّع المسكُ منهما نسيمَ الصَّبا جاءت بريَّا القرنفلِ

فقيل المراد تضوع المسك تضوُّعَ نسيم الصبا وقيل المراد تضوع بنسيم الصباء وقيل بل المراد المَسك بفتح الميم اي الجلد والاول اوجه ومثل

ذلك في ما يظهر قول المتنبي

وما انا الا عاشقٌ كل عاشقٍ　　اعقُّ خليلَيهِ الصفيّين لائمُهْ

فانهُ يحتمل رفع كل على انها مع ما بعدها جملة مستانفة ويحتمل نصبها مفعولاً للصفة قبلها وعلى هذا فقوله اعق خليليهِ الصفيين لائمه نعتٌ اما للصفة المجرورة او للصفة المرفوعة وبيت الشيخ الحموي لم يشر في الخزانة الى وجهِ تاويلهِ والذي حصل بعد النظر فيهِ. انهُ يحتمل ان يكون قوله نور القبائل وصفًا للصحابة وان يكون وصفًا لثالثهم وان يكون معنى الشطر الثاني ان المعالي نزلت من عليٍّ في منزلٍ رحبٍ واسعٍ او ان عليًا زادها بخلالهِ وفعائلهِ بسطةً واتساعًا والله اعلم

جَمْعُ ٱلْمُؤْتَلِفِ وَٱلْمُخْتَلِفِ

(جَمَعْتُ مُؤْتَلِفًا فِيهِمْ وَمُخْتَلِفًا
مَدْحًا وَقَصَّرْتُ عَنْ أَوْصَافِ شَيْخِهِمِ)

جمع المؤتلف والمختلف ان ياتي الناظم بمدحٍ يسوّي فيهِ بين ممدوحين ثم بزيادةٍ ترجح احدهما ولا ينتقص بها مدح الآخر كقول زهير في ممدوحٍ وابوبهِ

هو الجواد فان يلحق بشأوهما　　على تكاليفه فمثلُه لَحِقَا
او يسبقاه على ما كان من مهلٍ　　فمثلَ ما قدّما من صالحٍ سبقَا

والشيخ الحموي قد ساوَى اولاً في المدح بين الصحابة ثم رجح ابا بكرٍ بقوله وقصرت عن اوصاف شيخهم

أَلتَّعْرِيْضُ

(تَعرِيْضُ مَدْحِ أَبِي بَكْرٍ يُقَدِّمُنِي   فِيْ سَبْقِ حِلِّهِمْ مَعْ مَوْصِلِهِمِ)

التعريض فرعٌ من الكناية وهو ان يذكر الناظم كلامًا يريد بهِ شيئًا آخر لا يصرح بهِ بحيث اذا سمعه المراد بهِ علم المقصود منه واخذه لنفسهِ كقول الحجَّاج معرضًا بمن قبله من الخلفاء .

لستُ براعي ابلٍ ولا غنم   ولا بجزارٍ على ظهر وَضم

وقول المتنبيء معرضًا بقومٍ

ولا اقيم على مالٍ اذلّ بهِ   ولا الذُّ بما عرضي بهِ دَرِنَ

والشيخ الحموي قد عرَّض في بيته بمن اعرض عن مدح ابي بكرٍ من اصحاب البديعيات ونسب لهم التأخر بسبب ذلك

أَلتَّرْصِيْعُ

(نَعَمْ تَرَصَّعَ شِعْرِيْ وَأَمْتَلَتْ هِمَمِيْ   وَكَمْ تَرَفَّعَ قَدْرِيْ وَأَنْجَلَتْ غُمَمِيْ)

الترصيع ان ياتي الناظم ببيت يقابل جميع الفاظ صدرهِ او اكثرها بالفاظ عجزه وزنًا وتقفيةً كقوله

ونظَيْنهُ معينًا رحيمًا   فتبينهُ لعينًا رجيما

وقوله   فحريق جمرة سيفهِ للمعتدي   ورحيق خمرة سيبهِ للمعتفي

وقوله   وافعالنا للراغبين كرامةٌ   واموالنا للطالبين نهابُ

واحسنه ما كانت المقابلة فيهِ مقرونة بطباق او مقابلةٍ او جناس او نحو ذلك وما كان خاليًا من الحشو وهو هنا اللفظ الذي لا مقابل لهُ وبيت الشيخ الحموي غاية في محاسن هذا النوع والترصيع فيهِ ظاهرٌ

أَلسَّجْعُ

(سَجْعِي وَمُنْتَظَمِي قَدْ أَظْهَرَا حِكَمِي   وَصِرْتُ كَالْعَلَمِ فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ)

السجع ويقال لهُ التسجيع ايضًا ان يقسم المتكلم كلامه الى اجزاء متفقة في الروي مع الجزء الآخر فان اتفقت الفاظها الاخيرة في الوزن ايضًا فهو الموازي والاَّ فهو المطرف وهذا هو الاشهر ومنه بيت الشيخ الحموي وقول ابي تمام

تجلى بهِ رشدي واثرت بهِ يدي   وفاض بهِ ثِمدي وأورَى بهِ زندي

ومن الموازي قول ابي تمام ايضًا

قل قولةً فيصلاً تقضي حكومتها   في المنع ان عنَّ لي منعٌ او الصعدِ
يحصن بها سددي اويتسع عضدي   او يدنُ لي امدي اويعتدل اَودِي

وقول المتنبي

فنحن في جذلٍ والروم في وَجلٍ   والبرُّ في شغلٍ والبحر في خجلٍ

واعلم ان السجع في النثر اشهر منه في النظم وهو مبني فيهِ على الوقف فلا اعتبار لاختلاف حركات الاعجاز كقولهم ما ابعد ما فات. واقرب ماهو آت. واحسنه ما كانت قرائنه متساوية في الطول والقصر كقول الحريري حتى صفرت الراحة. وقرعت الساحة. وغار المنبع. ونبا المربع. واقوى المجمع. واقض المضجع. وقولهِ واستبطنا الحَيْنَ الجتاح. واستبطأنا اليوم المتاح. ثم ما كانت القرينة الثانية فيهِ اطول بقدرٍ غير كثير كقول الحريري ايضًا فرمقتها بعين القالي. وفارقتها مفارقة الطلل البالي. ولا بد من اختلاف القرائن معنًى كما رأيت والاكان ذلك

معيباً كقوله طاروا واقين بظهورهم صدورهم . وباصلابهم نحورهم .

اَلتَّسْمِيطُ

(تَسْمِيطُ جَوْهَرِهِ يُلْفَى بِأَبْحُرِهِ وَرَشْفُ كَوْثَرِهِ يُرْوِيْ لِكُلِّ ظَمِيْ)

التسميط ان يقسم الناظم بيتهِ الى اربعة اجزاء او ستة اجزاء آخرها على قافية القصيدة والباقي على قافيةٍ واحدة مخالفة لقافية القصيدة فالاول وهو الاكثر كقولهِ

وحربٍ وردتُ وثغرٍ سددتُ وعلجٍ شددتُ عليهِ الحبالا

وقوله هم القوم ان قالوا اصابوا وان دُعُوا اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا

ومنه بيت الشيخ الحموي والثاني كقولهِ

غرامي اقم دمعي أنجم صبري أنصرم عدوي احتكم دهري انتقم حاسدي اشمتِ

ومنهم من زاد نوعاً آخر وهو ان تكون جميع اجزاء التفعيل على رويٍّ يخالف القافية كقوله

واسمرٍ مثمرٍ من مزهرٍ نضرٍ من مقمرٍ مسفرٍ عن منظرٍ حسن

واعلم ان من التسميط نوعاً آخر وهو ان يعمد الناظم الى ابياتٍ لغيرهِ فيضم الى كل شطرٍ منها شطراً له بزيده عليهِ عجزاً لصدرٍ وصدراً لعجزٍ بالتحام شديد بحيث يظن السامع انها لواحدٍ كما فعل بعضهم بقصيدة البهاء زهير المشهورة فقال

غيري على السلوان قادر ان دام هجران الجآذر *
وانا الوفيُّ بعهدها وسوايَ في العشاق غادرِ
لي في الغرام سريرة اخفيتها وسط السرائر
ومحبةٌ اسررتها والله اعلم بالسرائر

وهكذا الى اخر القصيدة والمتاخرون يسمون هذا النوع التشطير والله اعلم

أَلِالْتِزَامُ

(لِأَنَّ مَدْحَ رَسُوْلِ ٱللهِ مُلْتَزَمِيْ   فِيْهِ وَمَدْحَ سِوَاهُ لَيْسَ مِنْ لَزَمِيْ)

الالتزام ـ ويقال لهُ لزوم ما لايلزم والتضييق والإعنات ايضًا ـ ان ياتي الناظم قبل حرف الروي بما لايلزم في التقفية من حرفٍ مخصوصٍ او اكثر يلتزمه في بيتين او اكثر فالاول اي ما التُزِم فيهِ حرف واحدٌ كقوله

يا محرقًا بالنار وجهَ محبهِ	مهلاً فان مدامعي تطفيهِ
أحرق بها جسدي وكل جوانحي	واحرص على قلبي لانك فيهِ

وقوله

ساشكر عمرًا ان تراخت منيّتي	اياديَ لم تمنّ وان هي جلّتِ
فتىً غير محجوب الغنى عن صديقهِ	ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلّتِ
رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها	فكانت قذى عينيهِ حتى تجلّتِ

والثاني كقول ابي العلاء المعرّي

كل واشربِ الناس على خبرةٍ	فهم يمرون ولا يعذبون
ولا تصــدقهم اذا حدّثوا	فانهم من عهدهم يكذبون

وقد كان ابو العلاء كلِفًا بهذا النوع مكثرًا منه حتى انهُ جمع من نظمهِ فيهِ كتابًا سمّاه ديوان اللزوم جاء فيهِ بالعجائب. ولما كان هذا النوع لايتحقق في اقل من بيتين وكان الشيخ الحموي قد التزم ان يكون كل من ابيات بديعيتهِ شاهدًا مستقلاً على نوعٍ جاء ببيتهِ هنا مصرعًا وجعل كل شطر منهُ كبيتٍ مستقلٍ التزم فيهِ قبل الروي حرف الراي كما

ترى . ويلحق بالالتزام نوعٌ آخر يعرف بالتوزيع وهو ان يلتزم الناظم حرفًا مخصوصًا في جميع الفاظ بيتهِ او اكثرها من غير تكلف ولا تعقيدٍ كقوله

سيفٌ بسرك سلُّهُ وسؤَالهُ   لمساءةٍ توسَى وسلب نفوسِ

سبقَ السراةَ بسيرةٍ وسريرةٍ   محمود نبنٍ وسار سيرَ رئيسِ

وقوله

ايا مَن فرضَ القاضي   لهُ ارضي لكي يرضَى

اهذا في القضا فرضٌ   بان ترضَى ولا ارضَى

اَلْمُزَاوَجَةُ

(إِذَا تَزَاوَجَ ذَنْبِيْ وَٱنْفَرَدتْ لَهُ   بِٱلْمَدْحِ مَنَّ وَنَجَّانِيْ مِنَ ٱلنِّقَمِ)

المزاوجة ان ياتي الناظم بشرط وجوابٍ يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر وهذا التفسير للمزاوجة هو الذي ذكره المحققون وقد استشهدوا عليها بقوله

اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى   اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

وقوله اذا احتربت يومًا ففاضت دماؤُها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

فان الاول ذكر نهي الناهي واصاختها الى الواشي واقعين في الشرط والجواب ورتب على كلٍ منهما لجاجًا والثاني ذكر الاحتراب وتذكر القربى واقعين في الشرط والجواب ورتب على كل منهما فيضًا واما الشيخ الحموي فان بيته ليس في شيء من ذلك لانهُ ذكر تزاوج الذنب في الشرط والمنَّ في الجواب ورتب على الاول الانفراد بالمدح وعلى الثاني التنجية من النقم وهما متباينان من كل وجهٍ وربما توهم ما توهمه غيره من ان المزاوجة قائمة بجمع معنيين في الشرط ومعنيين في الجواب مطلقًا وهو فاسدٌ ولم يقل بهِ محققٌ كما في شرح التلخيص فتدبَّر

ألتجزئة

(وَرَّيْتُ فِي كَلِمِي جَزَّيْتُ مِنْ قِسَمِي   أَبْدَيْتُ مِنْ حِكَمِي جَلَّيْتُ كُلَّ عَمِي)

التجزئة فرعٌ من السجع وحقيقتها قال في الخزانة ان ياتي المتكلم ببيتٍ ويجزئه جميعه اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزأً بجزء احدهما على روي يخالف روي البيت والثاني على رويّ البيت ومن شواهدها قوله

هندية لحظاتها خطّيّةٌ   خطراتها داريةٌ نفحاتها

وقوله   نحيي بها رممٌ ينشا بها كرمٌ   تُجلى بها ظُلَمٌ يبرا بها سقَمُ

وهي في بيت الشيخ الحموي اظهر من ان تبين

ألتجريدُ

(لِيْ فِيْ ٱلْمَعَانِيْ جُنُوْدٌ فِيْ ٱلْبَدِيْعِ وَقَدْ
جَرَّدتُ مِنْهَا لِمَدْحِيْ فِيْهِ كُلَّ كَمِيْ)

التجريد ان ينتزع الناظم من موصوفٍ بصفةٍ موصوفاً آخر بها مبالغةً في كمالها فيهِ . ووجه المبالغة ان الموصوف قد صار من كمال تلك الصفة فيهِ بحيث يصح ان ينتزع منهُ موصوفٌ آخر بها . ولهُ طرق مختلفة فمنه ما يكون بحرف الجر كقوله

لو لم يقد جحفلاً يومَ الوغى لغدا   من نفسهِ وحدها في جحفلٍ لجبِ

وقوله   وشوهاء تعدو بي الى صارخ الوغى   بمستلئم مثل الفنيق المرحّلِ

فان الاول جرّد من ممدوحهِ جحفلاً لجبًا مبالغةً في هيبته وشجاعتهِ والثاني جرد من نفسهِ مستلئمًا اي لابسًا لأمة مبالغة في استعداده للحرب والباء

فيهِ للصاحبة . ومنه ما يكون بمخاطبة الانسان نفسه كقوله

تطاول ليلك بالاثمدِ ونام الخليُّ ولم ترقدِ

وقوله لاخيل عندك تهديها ولا مالُ فليُسعدِ النطق ان لم تسعد الحالُ

ومنه ما يكون بغير حرف ولا خطابٍ كقوله

فلئن بقيتُ لارحلنَّ بغزوةٍ تحوي الغنائم او يموتَ كريمُ

جرَّد من نفسهِ كريمًا مبالغةً في كرمهِ . ومنهُ ما يكون بطريق الكناية كقولهِ

ياخير من يركب المطيَّ ولا يشربُ كاسًا بكف من بخلا

اراد بكف كريم فانتزع من نفسهِ كريمًا يشرب هو بكفهِ مبالغةً في كرمهِ ايضًا . وبيت الشيخ الحموي من قبيل الاول وهو قد جرد من معاني مدحهِ جنودًا مبالغةً في قوتها وكثرتها

أَلْمَجَازُ

(وَهْوَ ٱلْمَجَازُ إِلَى ٱلْجَنَّاتِ إِنْ عَمَرَتْ
أَيْسَانُهُ بِقَبُوْلٍ سَابِغِ ٱلنِّعَمِ)

هذا النوع لايليق ان يكون المراد بهِ هنا الاما يسميهِ البيانيون بالمجاز العقلي والمجاز المرسل والا فلا فائدة في ذكرهِ بعد ذكر الاستعارة والتمثيل وان قال شيخنا الحموي فيه بيتهُ المقدم والحليّ

صالوا فنالوا الاماني من مرادهم ببارقٍ في سوى الهيجاء لم يُشَمِ

فان الاول تجوَّز بذكر المجاز وعمرت والثاني بذكر بارق ولا يخفى ان هذا من قبيل الاستعارة واما حقيقة المجاز على ما قررناه فهي ان ياتي

الناظم بلفظٍ مفردٍ في غير ما وضع لهُ في الاصل لا لقصد التشبيه فخرج بمفرد التمثيل وبعدم قصد التشبيه الاستعارة ومن شواهدهِ قوله

ياليلة لي بحوارين ساهرةً حتى تكلم في الصبح العصافيرُ

اي مسهورًا فيها وقد يستخرج مثل ذلك من قول الحموي سابغ النعم فان القبول لا يوصف بكونهِ سابغ النعم بل بكونهِ ناشئًا عن النعم السابغة ومن اراد الاسهاب في هذا الباب فعليهِ بكتب البيانيين فانهم قد وفوه حقه من الكلام

إِئتِلَافُ ٱللَّفْظِ مَعَ ٱلْمَعْنَى

(تَآلَفَ ٱللَّفْظُ وَٱلْمَعْنَى بِمِدْحَتِهِ وَٱلْجِسْمُ عِنْدِي بِغَيْرِ ٱلرُّوحِ لَمْ يَقُمِ)

ائتلاف اللفظ مع المعنى ان ياتي الناظم في بيتهِ بالفاظٍ ملائمة للمعنى فاذا كان المعنى فخمًا كانت جزلةً او لطيفًا رقيقًا كانت رقيقةً رشيقةً او غريبًا كانت غريبة او متوسطًا بين الغرابة والاستعمال كانت متوسطة كذلك وقد استشهدوا عليهِ بقول زهير في معلقتهِ

اثافيَّ سفعًا في معرَّس مرجلٍ ونؤيًا كجذم الحوض لم يتثلمِ
فلما عرفت الدار قلت لربعها الا انعم صباحًا ايها الربع واسلمِ

فان هذا الشاعر قد ناسب في البيت الاول بين فخامة المعنى في وصف الاثار والمعاهد وجزالة اللفظ وفي البيت الثاني بين لطف المعنى ورقة اللفظ وكذا الشيخ الحموي فانهُ ناسب في بيته المقدم بين رقة المعنى ولطافتهِ ورشاقة اللفظ وسهولته

إِئتِلاَفُ ٱللَّفظِ مَعَ ٱلْوَزْنِ

(وَٱللَّفْظُ وَٱلْوَزْنُ فِيْ أَوْصَافِهِ ٱئتَلَفَا
فَمَا يَكُوْنُ مَدِيْحِيْ غَيْرَ مُنْسَجِمِ)

إِيتلاف اللفظ مع الوزن ان ياتي الناظم ببيت متلائم الالفاظ والوزن بحيث لا يضطر في اقامة وزنه الى فسادٍ في التركيب او خروج عن الاصل غير جائز في الاستعمال من نقص او زيادة او تقديم او تاخيرٍ وليس لهُ مثال مخصوص بل كل ما خلا من ذلك فيصح ان يكون مثالاً لهُ ومما لم يأتلف لفظهُ مع وزنه قوله

يا راكبًا بَلِّغَ اخوانا من كان من كندة او وائلِ

وقوله وما مثله في الناس الا مملكًا ابو امه حي ابوه يقاربه

وقوله : حتى اذا جرَّت على الكلكال : فان الاول اضطره الوزن الى فتح آخر الامر والثاني الى تقديم وتاخيرٍ غير جائزين والثالث الى زيادة الفٍ اذ الاصل كلكل لا كلكال قال امرء القيس

فقلت له لمَّا تمطَّى بصلبهِ واردف اعجازًا وناء بكلكلِ

والكلكل الصدر وبيت الحموي قد جاء متلائم اللفظ والوزن سالمًا من كل ما ذكر

إِئتِلاَفُ ٱلْمَعْنَى مَعَ ٱلْوَزْنِ

(وَٱلْوَزْنُ صَحَّ مَعَ ٱلْمَعْنَى تَآلُفُهُ فِيْ مَدْحِهِ فَأَتَى بِٱلدُّرِّ فِيْ ٱلْكَلِمِ)

إِيتلاف المعنى مع الوزن ان ياتي الناظم ببيتٍ صحيح المعنى لا يحتاج في اقامة وزنهِ الى قلب معنًى عن وجههِ وخروجه عن صحتهِ وهو كالنوع

الذي قبله لا يخصص له مثالٌ بل كل ما كان سالمًا من ذلك فهو مثالٌ له وقد استشهدوا على ما لم يأتلف فيهِ المعنى مع الوزن بقولهِ

فاني لو شهدت ابا سعادٍ غداة غدٍ بمهجتهِ يفوقُ
فديت بنفسهِ نفسي ومالي وما آلوهُ الا ما يطيقُ

فان هذا الشاعر اراد ان يقول فديت نفسه بنفسي ومالي فقلب المعنى بحكم ضرورة الوزن كما ترى ومثله قوله

ليهنك امساكي على الكف بالحشا ورقراق دمعي خشيةً من وبالكا

اراد على الحشا بالكف فاضطره الوزن الى القلب بخلاف بيت الشيخ الحموي فانه صحيح المعنى مستقيم الوزن كما هو ظاهرٌ .

إِئتِلاَفُ ٱللَّفْظِ مَعَ ٱللَّفْظِ

(وَٱللَّفْظُ بِٱللَّفْظِ فِي ٱلتَّأْسِيسِ مُؤْتَلِفٌ
فِي كُلِّ بَيْتٍ بِسُكَّانِ ٱلْبَدِيعِ حَرِيْ)

إِئتلاف اللفظ باللفظ فرعٌ من مراعاة النظير وحقيقته ان يقصد الناظم معنًى يصح التعبير عنه بالفاظٍ مختلفة فيتخير له لفظًا يناسب سائر الكلام وقد استشهدوا عليهِ بقول البحتري في وصف الابل المهزولة

كالقسيّ المعطّفات بل الاسهم مبريةً بل الأوتارِ

فانه كان يجوز له ان يقول كالعرجون او النون مثلاً بدل قوله كالقسيّ المعطّفات لكنه آثر القسيّ لما بينها وبين الاسهم والاوتار من المناسبة والائتلاف بخلاف العرجون والنون وشاهده في بيت الشيخ الحموي قوله في التاسيس فانه يجوز ان يقول بدله في التركيب مثلاً الا انه اختار

التاسيس لمناسبة البيت والسكان والله اعلم

أَلتَّمْكِينُ

(تَمْكِينُ سُقْمِي بَدَا مِنْ خِيفَةٍ حَصَلَتْ
لَكِنْ مَدَائِحُهُ قَدْ أَبْرَأَتْ سَقَمِي)

التمكين — ويسمى ائتلاف القافية ايضاً — ان يوطئ الشاعر لقافية بيته توطئة حسنة تاتي القافية من ورائها متمكنة في مكانها غير نافرةٍ ولا اجنبية بحيث لو طرحت لاختل المعنى ولو سكت عنها لكملها السامع الاديب بطبعه ومن ذلك قول ابي تمام

قالوا اتبكي على رسمٍ فقلت لهم   من فاته العين ادنى شوقهُ الأَثَرُ

وقول المتنبي

وهكذا كنت في اهلي وفي وطني   ان النفيس غريبٌ حيثما كانا

وقوله   يامن يعزُّ علينا ان نفارقهم   وجداننا كل شيءٍ بعدكم عدمُ

ان كان سركمُ ما قال حاسدنا   فما لجرحٍ اذا ارضاكم المُ

والتمكين في قافية بيت الشيخ الحموي ظاهرٌ فانها ليست قلقةً ولا مستدعاةً ولو طرحت لما تم المعنى بدونها ولو سُكت عنها لعرفت قبل ذكرها بما تقدمها من التمهيد الحسن واقتضاء المعنى اياها

أَلْحَذْفُ

(وَقَدْ أَمِنْتُ وَزَالَ ٱلْخَوْفُ مُنْحَذِفًا   نَحْوَ ٱلْعَدُوِّ وَلَمْ أُخْفَرْ وَلَمْ أُضَمِ)

الحذف ان ياتي الناظم ببيت يلتزم فيه حذف حرفٍ من حروف الهجاء او نوعٍ منها دون تكلف ولا تعقيدٍ وهو اقسام الاول ان يحذف من

البيت الحروف المعجمة الفوقية او التحتية كما في بيت الشيخ الحموي

والثاني ان يحذف منه الحروف المهملة ويسمّى الجناس الحالي والجناس المعجم كقوله

فتنتني فجنتني تجني ... بتجنٍّ يفتنُّ غب تجني

والثالث ان يحذف منه الحروف المعجمة مطلقًا ويسمّى الجناس العاطل والجناس المهمل كقوله

اعدد لحسّادك حدّ السلاح ... وأورد الآمل وردَ السماح

والرابع ان يحذف من احد شطريه الحروف المهملة ومن الثاني الحروف المعجمة ويقال له الجناس الملمّع كقوله

قذفت بي بينَ يمنٍ قذفٍ ... وصدودٍ اورد الروح الحماما

والخامس ان تكون كلمات البيت احداها مهملة والاخرى معجمة ويقال له الجناس الاخيف كقوله

الحرُّ يجزي والكرام تثيبُ ... واللؤمُ يخزي والهمام يُثيبُ

والسادس ان تكون حروف البيت احدها مهمل والاخر معجمٌ ويقال له الجناس الارقط كقوله

فلا خلا ذا بحجة ... يتدُّ ظلُّ خصرهِ

فانهُ برٌّ بمن ... آنسَ ضوءَ شهرهِ

والسابع ان يحذف من البيت الحروف المنفصلة خطًا ويقال له الجناس الموصّل كقوله

سل متلفي عطفًا عسى بتعطفُ ... فلقد قسا قلبًا لمن يتلطفُ

والثامن ان يحذف منه الحروف المتصلة خطًا ويقال له الجناس المتقطع

كقوله

زر دارَ ودٍ ان اردت ورودا　　　　واردع ودع دارًا اوت داوودا

اَلتَّدْبِيجُ

(وَأَخْضَرٌ أَسْوَدُ عَيْشِي حِينَ دَبَّجَهُ
بَيَاضُ حَظِّي وَمِنْ زُرْقِ ٱلْعُدَاةِ حُمِي)

التدبيج ان يذكر المتكلم في ما هو آخذٌ فيهِ من غرض مدحٍ او ذمٍ او نسيبٍ او نحو ذلك الوانًا يقصد بها كناية او تورية كقوله

تردّى ثياب الموت حمرًا فما اتى　　　　لها الليلُ الا وهي من سندسٍ خضرِ

فانه كنى بحمرة الثياب عن قتله وبخضرتها عن دخوله الجنة ومثل ذلك قوله

بسياض عزمٍ واحمرار صوارمٍ　　　　وسواد نقعٍ واخضرار رحابِ

وقد جمع الحريري بين الكناية والتورية في قوله : فمذ اغبر العيش الاخضر . وازور المحبوب الاصفر . اسود يومي الابيض . وابيض فودي الاسود . حتى رثى لي العدو الازرق . فحبذا الموت الاحمر : اما التورية ففي قوله المحبوب الاصفر فان المعنى القريب انسان ذو صفرة والمعنى البعيد المقصود هو الذهب واما الكناية ففي الباقي وهي ظاهرة . والشيخ الحموي ذكر في بيتهِ الوانا قصد بها الكناية كما هو ظاهر

اَلِاقْتِبَاسُ

(وَقُلْتُ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا　　　　قَدْ نِلْتُ كَيْ يَحْظُونِي بِٱقْتِبَاسِهِمِ)

الاقتباس في اللغة مصدر اقتبس النار اذا اخذها شعلةً وفي الاصطلاح

ان يضمن الناظم بيته شيئًا من كتاب الله ــ وهو الكتاب المنزل حقيقةً او اعتقادًا ــ على انه له اي من دون تنبيهٍ الى اخذه سوآء بقي المقتبس على معناه الاصلي ام نقل عنه الى معنى لائقٍ بهِ وهو الاحسن فالاول كقوله

ان كنت ازمعت على هجرنا   من غير ما جرمٍ فصبرٌ جميل
وان تبدلت بنا غيرنا   فحسبنا الله ونعم الوكيل

فان قوله فصبر جميل وعجز البيت الثاني آيتان من القرآن اقتبستا بمعناهما والثاني كقوله

لئن اخطاتُ في مدحيــك ما اخطاتَ في منعي
لقد انزلتُ حاجاتي   بوادٍ غير ذي زرعٍ

فان قوله بوادٍ غير ذي زرع اية من القرآن اريد بها هناك وادٍ لا ماء فيه ولا نبات فنقلها الشاعر الى الكناية عن رجلٍ لا خير فيهِ ولا نفع وكما اغتفر التغيير في المعنى اغتفر في اللفظ فيجوز ان يغير عن اصلهِ تغييرًا يسيرًا كقوله

قلت دعني وجهك الجنة حفَّت بالمكارهِ

وقوله   كان الذي خفت ان يكونا   انا الى الله راجعونا

فان اصل الآية الاولى حفَّت الجنة بالمكارهِ واصل الثانية انا لله وانا اليه راجعون فان غير المقتبس تغييرًا كثيرًا خرج عن باب الاقتباس الى باب العقد كما سياتي قريبًا واما بيت الشيخ الحموي فان فيه اقتباسًا من قول القرآن في صورة يس : قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي : والله اعلم

السُّهُولَةُ

(يَارَبِّ سَهِّلْ طَرِيقِي فِي زِيَارَتِهِ   مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْتَرِينِي شِدَّةُ ٱلْهَرَمِ)

السهولة — وبعضهم يسميها السهولة والظرافة — ان ياتي الناظم ببيتٍ خالصٍ في لفظهِ وتركيبهِ من التكلف والتعقيد والتعسف بحيث لو نثره لما احتاج في نثرهِ الى تغيير كقولهِ

يا واضع السكين بعد ذبحهِ   في فيهِ يسقيها رضاب لماتهِ
ضمها على المذبوح ثاني مرةٍ   وانا الضمين له بعود حياتهِ

ومن احسن ما استشهدوا بهِ على ذلك قول قيس بن الملوح

اليس وعدتني ياقلب أَنِّي   اذا ما تبتُ عن ليلى اتوبُ
فها انا تائبٌ عن حب ليلى   فمالك كلَّما ذكرت تذوبُ

وقد عد بعضهم السهوله من قبيل الانسجام غير فارقٍ بينها وهو الحق فانها لا تفارقه وليس فيها ما يميزها عنه وبيت الشيخ الحموي بيّن السهولة ولو كان نثرًا لما جيء بهِ على خلاف ذلك

حُسْنُ ٱلْبَيَانِ

(حَتَّى يَبُثَّ بَدِيعِي فِي مَحَاسِنِهِ   حُسْنَ ٱلْبَيَانِ وَأَشْدُو فِي حِجَازِهِمِ)

حسن البيان ان يعبر الناظم عما في نفسه بلفظ سهلٍ بليغٍ منزهٍ عن اللبس واستشهدوا عليهِ بقوله

يضطرب الخوف والرجاء اذا   حرك موسى القضيب او فكرا

فان هذا الشاعر اراد مدح موسى الخليفة بعظم المهابة ومطلق القدرة فابان عن ذلك احسن ابانة ومنه قوله

تفري انامله التراب تعللاً ... واناملي في سني المقروع

فان هذا الشاعر اراد ان يبين شدة جفا حبيبه وصدوده وشدة تاسفه وتحرقه فابان عن ذلك بتشاغل الحبيب عنه في التراب وقرع سنه وهو بيان حسنٌ. واما الشيخ الحموي فانه اراد بيان تشوقه للابداع في وصف ممدوحه والافصاح بمحاسنه والتغني بها فاحسن بيانه والله اعلم

الإِدْمَاجُ

(قَدْ عَزَّ إِدْمَاجُ شَوْقِي وَٱلدُّمُوعُ لَهَا ... عَلَى بَهَارِ خُدُودِي صِبغَةُ ٱلعَنَمِ)

الادماج في اللغة من ادمج الشيء في ثوبه اذا لفَّهُ فيه وفي الاصطلاح ان ينحو الناظم في معاني بيته معنىً لا يصرح به ولا يوذن بانه هو المقصود في كلامه بل انه انما عرض لتتمة المعنى كقول ابي الطيب يصف ليله

اقلب فيه اجفاني كاني ... اعد به على الدهر الذنوبا

فانه ادمج شكواه من الدهر في وصفه الليل بالطول ومن الطف ذلك قول بعضهم يهني وزيرًا بوزارته

ابى دهرنا اسعافنا في نفوسنا ... واسعفنا في من نحب ونكرمُ

فقلت له نعماك فيهم أتمَّها ... ودع امرنا ان المهمَّ المقدَّمُ

فانظر كيف ادمج في طي هذه التهنئة بيان حاله واختلال شانه متلطفًا بصيانة ماء وجهه ان يبذل بالسوال الصريح. وقد اوردت يومًا هذين البيتين في حضرة شيخٍ من مشايخ العلم قد وقع له في صدور الكثير من العامة والخاصة اعتبار جليل حتى اتخذوه حجة في علم الادب فاستخفته الدعوى فقال لي على الفوران في هذين البيتين من البديع نوع

الاختراع فضحكت في نفسي ولم اعترضه صونًا لحرمة مقامه بين الناس وان كنت عالمًا انهم قد انزلوه فوق منزلتهِ واعتبرت بذلك حال هاته الديار وما هم عليه من مهولة الاغترار والوقوف عند ظواهر الامور والشيخ الحموي قد ادمج في بيته بيان صفرة اللون وحمرة الدموع في شرح حاله من هتك الدمع ستار شوقه وما في هذا الادماج من باس

أَلاِحْتِرَاسُ

(فَإِنْ أَقِفْ غَيْرَ مَطْرُوْدٍ بِحُجْرَتِهِ   لَمْ أَحْتَرِسْ بَعْدَهَا مِنْ كَيْدِ مُخْتَصِمِ)

الاحتراس ان يكون في كلام الناظم مظنة لايهام غير المراد فياتي بما يدفع ذلك كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها   صوبُ الغمام وديمةٌ تهمي

وقوله   ادعوك دعوة مرء واتق بكمُ   يا اوحد العصر فاسمع غير مامور

وقوله   يجودون للراجي بكل نفيسةٍ   لديهم سوى اعراضهم والمناقبِ

فان الاول احترس بغير مفسدها من افسادها ومحو معالمها والثاني احترس بغير مامور من توهم امره بالسماع والثالث احترس بسوى اعراضهم والمناقب من توهم بذل الاعراض والمزايا ايضًا . والفرق بين الاحتراس والتكميل ان في التكميل زيادة وصف آخر يزيد ما قبله كمالًا وقد يجتمعان كما مرَّ في باب التكميل وبينه وبين التتميم ان التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه واما الاحتراس فانما يؤتى به لدفع الايهام فقط والاحتراس في بيت الشيخ الحموي قوله غير مطرودٍ وقد دفع توهم كونه واقفًا في باب الممدوح وقوف مطرودٍ لا يؤذن له بالدخول

بَرَاعَةُ ٱلطَّلَبِ

(وَفِي بَرَاعَةِ مَا أَرْجُوهُ مِنْ طَلَبٍ   إِنْ لَمْ أُصَرِّحْ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَى ٱلْكَلِمِ)

براعة الطلب ان يقصد الناظم سؤال حاجة فيشير الى ذلك بالفاظٍ لطيفة مهذبة تفيد تعظيم الممدوح وليس فيها الحاحٌ ولا تصريحٌ ببيان المطلوب كقوله

فيا جود معنٍ ناجِ معنًا بحاجتي   فما لي الى معنٍ سواك رسولُ

وقوله واذا طلبت الى كريمٍ حاجةً   فلقاؤهُ يغنيك والتسليمُ .

والذي عقدت عليه الخناصر هنا قول ابي الطيب المتنبي.

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ   سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ

والفرق بينه وبين الادماج من وجهين الاول ان براعة الطلب خاصة بالسوال والادماج غير مختص به والثاني ان الادماج لا يذكر فيه الغرض لا تصريحًا ولا تلويحًا كما مر بل انما يستفاد بطريق اللزوم وبراعة الطلب يلوّح فيها الى الطلب دون المطلوب وهي في بيت الشيخ الحموي ظاهرة

أَلْعَقْدُ

(قَدْ صَحَّ عَقْدُ بَيَانِي فِي مَنَاقِبِهِ   وَإِنَّ مِنْهُ لَسِحْرًا غَيْرَ سِحْرِهِمِ)

العقد ان يعمد الناظم الى كلام منثورٍ فينظمه متصرفًا فيه بما يلائم الوزن من تغيير وتقديم وتاخير وحذف ونحو ذلك واذا كان المنثور من كتب التنزيل فلا بد فيه من التغيير الكثير ليكون عقدًا والاّ فهو الاقتباس كما مرَّ ومن امثلة العقد قول ابي تمام

وقال عليٌّ في التعازي لاشعثٍ   وخاف عليهِ بعض تلك المآثمِ

أتصبر للبلوى عزاءً وحسبةً   فتوجرَ ام تسلو سلوَّ البهائمِ

فانه عقد في البيت الثاني قول الامام علي: ان صبرتَ صبرَ الاحرار والاّ سلوتَ سلو البهائم : ومنه قوله الآخر

كفى حزنا بدفنك ثم أني   نفضتُ تراب قبرك عن يديّا
وكانت في حياتك لي عظاتٌ   فانت اليوم اوعظ منك حيّا

فانه عقد في عجز البيت الثاني قول احد الحكماء لما مات الاسكندر: كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس : والشيخ الحموي قد عقد في بيته قول محمد : ان من البيان لسحرًا :

أَلْمُسَاوَاةُ

(تَمَّتْ مُسَاوَاةُ أَنْوَاعِ ٱلْبَدِيعِ بِهِ   لَكِنْ يَزِيْدُ عَلَى مَا فِيْ بَدِيعِهِمِ)

المساواة ان ياتي الناظم ببيت يكون لفظه مساويًا لمعناه لا ناقصًا عنه ولا زائدًا عليه ومنه قوله

فانك كالليل الذي هو مدركي   وان خلتُ ان المنتأى عنك واسعُ

وقوله   ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ   وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

وقوله   وقد يتزيا بالهوى غير اهله   ويستصحب الانسان من لا يلائمه

وقوله   اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا   ان لا تفارقهم فالراحلون همُ

وهي في بيت الشيخ الحموي ظاهرة فليس فيه لفظة زائدة على المعنى المراد ولا ناقصة عنه والله اعلم

حُسْنُ ٱلْخِتَامِ

(حُسْنُ ٱبْتِدَائِي بِهِ أَرْجُو ٱلتَّخَلُّصَ مِنْ
نَارِ ٱلْجَحِيْمِ وَهٰذَا حُسْنُ مُخْتَتَمِي)

حسن الختام — ومنهم من يسميه حسن المقطع وحسن الخاتمة — من اهم

الانواع شأنًا واجلها خطرًا وحقيقته ان ياتي الناظم في آخر قصيدته ببيت موءذن بانتهاء الكلام تام الفائدة بحسن السكوت عليه بحيث لا يبقى تشوق الى ما وراءه ولا بد ان يجمع فيه الى ذلك عذوبة اللفظ وحسن السبك وسلاسة التعبير وصحة المعنى فانه آخر ما تعيه المسامع وربما جبر بحسنه والتأنق فيه تقصيرًا تقدمه ومن امثلته قول ابي تمام في ختام قصيدة

فالفخر فما من سماء للعلى رُفعِت ... الا وافعالك الحسنى لها عَمَدُ
واعذر حسودك في ما قد خُصِصتَ بهِ ... ان العلى حسنٌ في مثلها الحسدُ

وقول ابي الطيب المتنبي

قد شرّف الله ارضًا انت ساكنها ... وشرّف الناس اذ سوّاك انسانا

وقول ابي نواس

واني جديرٌ اذ بلغتك بالمنى ... وانت بما امّلتُ منك جديرُ
فان تولني منك الجميل فاهله ... والا فاني عاذرٌ وشكورُ

ولقد اجاد الشيخ الحموي في ختامه فانه وفاه حق الابداع وحلاه بعقود الاحسان وجاء به على السنن الذي قررناه والوجه الذي شرحناه

قال مؤلفهُ الفقير الى ربهِ تعالى هذا آخر ما أَسعَدَ الزَمنُ القصيرُ على جمعهِ. وسَمَحَ النظرُ الحَسيرُ بتاليفهِ ووضعهِ. على ما رسَمَ لي فيهِ ذلك السيِّدُ اللُبَاب. المشارُ اليهِ في آخر مقدِّمةِ الكتاب . وانا أَسأَلُ اللهَ أَن يؤدِّب بهِ الطالبين . وينفعَ بهِ الراغبين. ويفيزنا بخاتمة المتقين .

وكان الفراغ من تاليفه وطبعه لخمس خلون من شهر آب في السنة الحادية والثمانين بعد الثمانمئة والالف للمسيح

فهرس كتاب العقد البديع

صفحة

صفحة

اصلاح ما وقع في الطبع من الاغلاط

سطر	صفحة	خطا	صواب
٣	٦	وقولهُ	وقولِهِ
٤	٦	وقولهُ	وقولِهِ
٥	٦	وقولهُ	وقولِهِ
١٠	٦	بسقظ	بسقط
١٣	١٠	الرقه	الرقة
٧	٤٠	بينهِ	بينهُ
١١	٤٦	بشرطٍ معلق على امرين	بامرٍ معلق على شرطين
١	٥٠	معرَض	معرِض
٣	٥٠	بمعرَض	بمعرِض
٩	٥٣	ٱللّقا	ٱللِقا
٤	٧٥	ٱلضّحى	ٱلضُّحى
١٧	٧٨	ٱلصّبا	ٱلصَّبا
١٠	٨٦	يستحيل	يستحل
١٣	٩٣	ٱلشُّهب	ٱلشُّهب
٠٦	١٠٠	ٱلسّلام	السلام
٠٧	١٠٠	ٱلصّخر	ٱلصَّخر

سطر	صفحة	خطا	صواب
١٤	١٠٤	القلم	والقلم
٠٩	١٠٥	وكم	وكم
٣٠	١١١	آلتوهيم	آلتوهيم
٣١	١١١	وآلسّمر	وآلسّمر
١٠	١٢٢	علنة	علتهُ
٢١	١٢٦	الصباء	الصبا